

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة عبد الرحمن ميرة - بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



الهامشية في رواية الحي السفلي
لعبد الوهاب بن منصور

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص:

أدب عربي حديث ومعاصر

إشراف الأستاذة:

إدريس سامية

إعداد الطالب (ة):

بزطوط نسيمة

برابز سيهام

السنة الجامعية: 2019-2020

سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)»

صدق الله العظيم

الشكر والعرفان

أول مشكور هو الله عزّ وجلّ، ثمّ الوالدين على كل مجهوداتهم منذ ولادتنا إلى هذه اللحظات، أنتم كل شيء، نحبكم في الله أشد الحب.

يسرنا أن نوجه شكرنا لكل من نصحنا أو أرشدنا وساهم معنا في إعداد هذا البحث، بإيصالنا للمراجع والمصادر المطلوبة في أي مرحلة من مراحلها، ونشكر على وجه الخصوص أستاذتنا الفاضلة والمشرفة "سامية إدريس" والمناقش للبحث، ونسأل الله أن يرعاهم ويحميهم.

الإهداء

إلى ينبوع العطاء الذي زرع في نفسي الطموح والمثابرة والذي العزيز أطل الله في عمره.

إلى نبع الحنان الذي لا ينضب... أُمي الغالية أطل الله في عمرها.

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي ... إخوتي وأخواتي.

إلى من ضاقت السطور من ذكرهم في سعم قلبي... أصدقائي وأقربائي.

إلى جميع أساتذتي الكرام، ممن لم يتوانوا في مد يد العون لي، أهدي إليكم بحثي المتواضع، داعيا

المولى عزّ وجل أن يطيل في أعمارهم ويرزقكم بالخيرات.

الإهداء

إلى صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير، الذي لم يبخل على طيلة حياته والدي العزيز أطال في عمره.

إلى من وضعتني على طريق الحياة وجعلتني ربط الجأش، وراعتني حتى صرت كبيرة أُمي الغالية أطال الله في عمرها.

إلى إخوتي و خاصة إلى روح أخي الطاهرة فاتح وأصدقائي، من كان لهم بالغ الأثر في كثير من العقبات والصعاب.

إلى جميع أساتذتي الكرام، ممن لم يتوانوا في مديد العون لي، أهدي إليكم بحثي المتواضع، داعية المولى عزّ وجلّ أن يطيل في أعمارهم ويرزقكم بالخيرات.

مقدمة

تعتبر الرواية من أكثر الأنواع الأدبية استيعاباً للواقع، وأوسعها انتشاراً بين أوساط القراء، كما أنها تعد من أهم الفنون الأدبية وجوداً، فهي بمثابة وعاء تصب فيه أفكار الإنسان وأحاسيسه في صراعه مع واقعه، كما أنها تحتل مكانة واسعة ومرموقة في الأدب، باعتبارها الوسيلة الوحيدة التي تعبر عن الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها الإنسان في شتى جوانبه الحياتية.

ومن الملاحظ أن الرواية الجزائرية المعاصرة تعالج قضايا الواقع الاجتماعي، حيث ترسم صورة عن الاستبداد والظلم الذي يعاني منه المجتمع، وفي هذا المجال نجد الروائي الجزائري "عبد الوهاب بن منصور" في روايته "الحي السفلي" التي تغوص في مدة زمنية مليئة بالأحداث المتعاقبة، والتي تمثل سردية المحنة الجزائرية، إذ حاول فيها عبد الوهاب بن منصور معالجة واقع الحي السفلي وما يعانيه من تهمة و ظلم وخيانة، وعلى هذا الأساس كان بحثي مقروناً بالهامشية في رواية "الحي السفلي".

تمثل الهامشية في هذه الرواية الواقع الذي يعيشه سكان الحي، إذ أنها تتجلى من خلال أوضاع المجتمع المتردية، حيث أبرزت هذه الرواية التهميش الذي صور لنا واقع الحي القصديري الموبوء بالوباء والخواء والموت، منها هامشية الشخصية التي رصد لنا فيها الكاتب معانيتها و حرمانها و تعاستها.

ومن خلال ما سبق نجد أن رواية "الحي السفلي" لعبد الوهاب بن منصور كانت في الغالب تصور لنا الواقع الاجتماعي الذي يحمل المعاناة والحزن والبؤس والتعاسة، ومنه نجد أن الأديب هنا يعالج ما يعانيه المجتمع من قهر وظلم وممارسة القمع من طرف قوات الأمن. فهذه الرواية إذن تقدم لنا سردية تخيلية حول مرحلة تاريخية مفصلة في تاريخ الجزائر ما بعد الاستقلال، التي تهدف إلى الكشف عن الأحداث التاريخية والسياسية للدولة الوطنية الحديثة ما بعد الاستقلال في ارتباطها بقضايا الإنسان، ومنه فقد عدت الرواية انعكاساً للمجتمع والواقع الذي يعيشه، وهذا ما دفعنا لاختيارها، ومن بين الأسباب الأخرى نجد:

أسباباً ذاتية: والتي تتمثل في رغبتنا في دراسة هذه الرواية، وكذا الشغف الذي أحدثته في قلوبنا خاصة وأن الأمر يتعلق بموضوع اجتماعي، ومحاولة منا لاستقراء تلك المصطلحات المتمثلة في مفهوم الهامشية.

أسباباً موضوعية: والتي تتمثل بأنها رواية تحاكي الواقع وترصد أكبر معاناة يعيشها مجتمع مرهون بالدمار والضياع، ومن جهة تمسكه بالأمل ومحاولة التغلب على المرض والوقوف ضد السلطات و

تغيير مصيره للأفضل، كما أنها تمثل رواية تصور حيا فقيرا يقطنه طفل محروم من حقوقه في ظل سلطة استبدادية تعسفية.

وعلى هذا ارتأينا أن تكون هذه الدراسة تحت عنوان "الهامشية في رواية الحي السفلي لعبد الوهاب بن منصور".

ومن بين الإشكاليات التي يثيرها هذا البحث ما يلي:

- كيف تم تصوير واقع الهامشية في رواية "الحي السفلي" لعبد الوهاب بن منصور؟
- هل تعتبر رواية "الحي السفلي" أدب هامش؟

بغية الاقتراب من موضوعنا، اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، لأنه الأنسب للتعلمق في مكونات السرد من بينها: الشخصية الهامشية والتي تمثل العنصر الأساسي في كل سرد، فهي درست شخصيات متعددة، ونجد كذلك المكان أو الفضاء الهامشي الذي يوصف في صورة حي فقير أو مكان موبوء بالخطر والموت، فالتهميش إذن يحمل مجموعة من المكونات منها الزمان والمكان... الخ، فلا يمكن دراسته بدون هذه المكونات.

وللإجابة على هذه الأسئلة قمنا بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول :

إذ تطرقنا في الفصل الأول إلى مفاهيم ومصطلحات حول الهامش والمركز (إضاءة مفاهيمية)، ثم بيننا طبيعة العلاقة بينها، وكذا أهم تمثلات الهامش وبيان مظاهر الهامشية.

أما في الفصل الثاني فقد خصصناه لتحليل عنوان الرواية، وإبراز هامشية "الحي السفلي" مقابل المركز/المدينة.

وأما الفصل الأخير فكان بمثابة تحليل لحياة الشخصية المحورية، وبيان أهم مظاهر التهميش السياسي والاجتماعي من خلال الرواية.

بالإضافة إلى مقدمة البحث، وخاتمة حوصلنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

ومن أهم المراجع والمقالات التي أفادتنا في بحثنا، واعتمدنا عليها لدراسة الرواية نجد:

- ❖ هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب.
- ❖ سعيدة خلوفي، انطولوجيا أدب الهامش بين النقد والوظيفة.
- ❖ جمال مجناح، المفاهيم في موضوع التهميش والمهمشين.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات أثناء البحث منها: قلة المصادر والمراجع، وكذا أن رواية الحي السفلي لم تحظى بالدراسات الكافية. لكن رغم الصعوبات، فقد حاولنا أن نلم ببعض جوانب الموضوع.

وفي الأخير نقول أن الكمال لله عزّ وجلّ، ونتوجه بفائق الاحترام إلى الأستاذة المشرفة "سامية إدريس" على إرشادها من أجل الوصول إلى العمل المتوصل، وكذا لمن يشرفنا بمناقشة هذه المذكرة لهم كامل الاحترام والتقدير.

بجاية في 2020/08/27

بظوط نسيمة

برابز سيهام

الفصل الأول:

الهامشية و تهيمش الهامش، إضاءة

مفاهيمية

تمهيد

سنتناول في هذا الفصل مفهوم المركز و الهامش، و للولوج إلى عالم هذين الأخيرين نحاول بداية تقريب الصورة للمتلقي من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي، ثم نشير إلى العلاقة الموجودة بينهما، ونتطرق إلى تقديم مفهوم حول أدب الهامش، وفي الأخير نبرز تمثلات أدب الهامش في رواية الحي السفلي لعبد الوهاب بن منصور.

أولاً: تعريف الهامشية/الهامش:**التعريف اللغوي:**

تعددت المفاهيم اللغوية لمصطلح الهامش فقد ورد في لسان العرب لابن منظور: "... همش: الهمشة، الكلام والحركة، هَمَشَ، وَهَمَشَ القوم، فهم يَهْمَشُونَ وَيَهْمَشُونَ وتهامشوا والمرأة همش الحديث بالتحريك، تكثر الكلام وتجلب، والهمش: السريع العمل بأصابعه." (1)

ومن خلال هذا نجد أن الهامش هو الكلام الغير النافع، لا معنى له، فقد أعطوا له مثالا عن المرأة الثرثرة التي تكثر الكلام والحركة، وهنا كثرة الكلام هي من ميزات الهامش، فقد نسب كلام الهامش للمرأة لأنها لا تملك قدرة تحريك المجتمع.

وورد في معجم الرائد كالتالي:

"هامش:مهامشة (همش): عاجله

الهامش: ج. هوامش، حاشية الكتاب، وهامش الشيء: جانبه، عرضه، هو يعيش على هامش المجتمع." (2)

فالهامش هنا هو ما كتب على الكتاب من شروح وتعليقات على هامش الصفحة ووضوح بعض غوامضه والاستدراك عليه في بعض مسائله، أي بمعنى آخر أنه كلام يوضع في أسفل الصفحة.

كما أوردت لفظة همش أيضا في معجم اللغة العربية المعاصرة كالتالي :

همش: يهمش، هَمَشًا، فهو الهامش

همش الرجل: أكثر الكلام في غير صواب

همش الكتاب ونحوه: أضاف ملاحظات على هامش أو حاشيته.

همش الموضوع: جعله ثانويا: لم يجعله من اهتماماته المباشرة والمُحَلَّة، همش إسرائيل حق عودة اللاجئين ويحاولون تهيمش الدور العربي في عملية السلام.

تهيمش [مفرد]: مصدر همش

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ديس، ص 4700.
² - جيران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، ط7، دار العلم للملايين، 1992، ص 831.

هامش [مفرد]: ج، هوامش: اسم فاعل من همش: جزء خال من الكتابة حول النص في الكتاب المطبوع أو المخطوط

هامشي [مفرد]: اسم منسوب إلى هامش ملاحظة هامشية ليست في صلب الموضوع. (1)

أما في قاموس المحيط:

الهُمَشُ: الجمع: ونوع من الخَلْبِ، والعضن، همش كضرب وعلم: أكثر الكلام وامرأة همشى كجَمْرَى: كثيرة الجلبة، والهامش حاشية الكتاب، مولد، واهْتَمَشُوا: اِحْتَأَطُوا وأقبلوا أو أدبُرُوا، ولهم همشته، والدابة، أو الجراد، دبت دبيبا، وتَهَمَّشَ مَنْبَطُ الرَكِيبَةِ: تَجَلَّب

والمهامشة: المعالجة، وتهامشوا: دخل بعضهم في بعض، وتحركوا. (2)

وفي هذا القول نجد أن لفض الهامش لا يوجد أي إشارة استخدامه الحالي بما يدل على الإقصاء، إذ أنه جاء في قاموس المحيط من باب " همش "، بحيث قال: الهامش حاشية الكتاب، مولد، فهنا الهامش دخل في لحظة متأخرة على اللغة العربية وهو لا معنى له في أصل الكلمة القديم في اللغة، وتطرق هذا المعجم إلى مصطلح الهامش في سياقات متعددة وبين من خلاله بأنه أدب بعيد عن الشائع.

معنى الهامشية في قاموس معجم الوسيط:

نجد أن كلمة الهامشية اشتقت من عدة معاني:

من الفعل (هَمَشَ) والهمشة: هي الكلام والحركة ومنه أيضا: همش- يهمش- همشا فهو هامش، همش الرجل: أكثر الكلام في غير صواب

الهُمَشَةُ (في معجم الوسيط):

وهي الكلام والحركة.

الهُمَشَةُ: الاختلاط

الهُمَشَةُ: صوت حركة الجراد حيث يختلط ويزدحم.

1 - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية العاصرة، ط 1، دار العلاء للكتب، القاهرة، 2008، ص 2365 – 2366.
2- العلامة اللغوي مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط8، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة محمد نعيم العرقسوسي، بيروت لبنان للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص 610.

الهامشية هي ما إذا فرطت عقد الودم، ذات عقاب همش وذات طم.

كما ورد أيضا همش الكتاب ونحوه أضاف ملاحظات على هامشه أو حاشيته: همش الموضوع أي جعله ثانويا، لم يجعل من اهتمامه المباشرة والملحة.

التكلفة الهامشية: هي تكلفة الاستمرار خدمة تكنولوجيا المعلومات. (1)

تعريف ومعنى الهامشية في معجم المعاني الجامع معجم العربي عربي:

من الفعل "هامش":

"هامشه في كذا: عاجله فيه

هامش (اسم): ج. هوامش

الهامش: حاشية الكتاب، جزء خال من الكتاب حول النص في الكتاب المطبوع أو المخطوط.

اسم فاعل من همش.

على هامش الأمر: خارجا عنه أو بمعزل عنه فلا يعيش في الهامش معناه: منفرد غير مندمج في المجتمع (مهمل أو منعزل).

الهامش الداخلي: المسافة الفارقة بين صفحتين متقابلتين من وثيقة مجلدة. (2)

التعريف الاصطلاحي:

أما في الاصطلاح فقد اختلفت تعريفات الهامش وتعددت مفاهيمه إذ نجد " أحمد شراك في ملف أعدته مجلة " آفاق " التي تصدر عن اتحاد كتاب المغرب يقول حسب المعجم الفرنسي: أن الهامش يأخذ دلالات متعددة حسب السياق والاستعمال وزاوية النظر، فهو المساحة البيضاء في محيط النص المخطوط أو المطبوع. "

(3)

1- المعاني الجامع، Almaany.com، تاريخ المشاهدة 11 أبريل 2020.

2- المعاني الجامع، Almaany.com، تاريخ المشاهدة 12 أبريل 2020.

3- د. هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، ط1، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، 2015، ص 38-

من خلال هذا القول فإن الهامش عند أحمد شرارك هو الذي يحمل معاني من حيث استعماله، باعتباره الحاشية أو المساحة المفتوحة في مختلف النصوص التي تساعد على استيعاب أدق لمحتوى النص، إذ أنه يعتبر جزء خالي من الكتابة حول النص في الكتاب المطبوع أو المخطوط.

كما نجد مفهوم آخر "للهامش على أنه يتحدد بمرجعية المركز من حيث الخروج عن السائد أو المؤلف مثلما يخص لمعيار اجتماعي واقتصادي أي أن هناك مؤسسة تسلط هذا المعيار أو ذلك على موضوع الهامش في أدب ما." (1)

وبالتالي فإن مفهوم التهيمش يتعين بمرجعية المركز، إذ يخرج عن نفس المؤلف ويعتبر كتابة هامشية، ويخضع لأشياء في مقاييس محددة، يقيم من خلالها معيار اجتماعي واقتصادي، بمعنى ذلك أنه يوجد هيئة أخرى تحكم هذا المعيار.

أما من الناحية الاجتماعية" فيصف التهيمش كمصطلح اجتماعي في الواقع الاجتماعي والاقتصادي لمن يعيشون خارج الأطر الاجتماعية التقليدية ورغم أن ممارسات الإقصاء نحو الأفراد والجماعات والمناطق يعود بداية الزمن، فإن المصطلح لم يبرز إلا على خلفية أزمة السبعينات من القرن الماضي، حيث وفرت التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الناتجة عن أزمة الظروف لإجراء نقاش جديد للمعاني والاستخدامات لمصطلحات مثل الفقر والإقصاء." (2)

وهنا يعنى بالتهيمش الاجتماعي الإبعاد على هامش المجتمع إذ أنه يمثل عادة في عدم قدرة المجتمع على تفعيل كل أفراد بالدرجة التي يحققون فيها رغباتهم، وخلال السبعينات نجد أن مصطلح الإقصاء قد عرف اتساعا بحيث شكل مذهباً نظرياً للمأزق الذي وجدت فيه الدراسات حول الفقر.

ومن خلال "بواكير القرن العشرين صارت الهامشي تستخدم لتدل على فرد أو جماعة اجتماعية معزولة ولا تتلاءم مع المجتمع أو الثقافة المهيمنة، وينظر إليها باعتبارها توجد على حافة المجتمع أو الوحدة الاجتماعية، وتنتمي إلى جماعة أقلية غالباً ما تنطوي على مضامين الاستغناء وعدم الانتفاع." (3)

فالهامش إذن هو الجانب المتروك، الذي لم يولي أهمية كبيرة إذ أنه يعيش منفرداً ومعزولاً عن المجتمع وبعيدا عن الحياة الثقافية، ويطلق بصفة عامة على كل منبوذ ومتمرد، فهو يعالج قضايا ممنوعة من التداول.

1- أجمال مجناح، المفاهيم في موضوع التهيمش والمهمشين: قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، تاريخ الصدور ديسمبر 2011، <http://elearning.www-mssila.dz>، ص3.

2- محسن عوض، قضايا التهيمش والوصول إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية: نحو مقاربات جديدة لمكافحة التهيمش في العالم العربي، القاهرة، 2012، ص6.

3- طوني بينيت لورانس غروسبيرغ ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ط1، ت: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010، ص697.

كما يمكن القول كذلك أن الهامش هو "الطرف الأقل والأدنى والأبعد والقصي والدوني عن المركز وهذا التداخل جعل مفهوم الهامش مفهوماً فضفاضاً يتسع ليشمل كل أنواع المنبوذين والمقصيين من قبل جماعة ما أو من قبل مجتمع بأسره كالسود والفقراء والنساء وغيرهم." (1)

يتضح لنا من خلال هذا القول أن الهامش هو الرتبة الأقل مستوى وأهمية بالنسبة إلى المركز، باعتباره أدب معارض له، فالهامش بطبعه يمثل على أنه أدب منبوذ و متمرد على التقاليد الفنية السائدة، والذي يتجاوز كل ما هو مألوف.

أما في المعجم الفلسفي نجد أن مصطلح الهامش " هو المنسوب إلى الهامش وهو حاشية الكتاب لا متنه، يقال: فلان يعيش على الهامش أي لا يدخل في زحمة الناس، ويطلق على الهامشي مجازاً على المسائل الفكرية المتعلقة بأطراف الموضوع وجوانبه الخارجية." (2)

من خلال ما سبق نجد أن الهامش هو ما علق على الكتاب من إيضاحات، باعتبار أنه يميل إلى الحواشي وليس إلى المتون، إذ نجده بعيداً كل البعد عن دائرة الضوء، وعن كل ما هو مزيف، وبالتالي نجد أن الشخص المهمش يعيش شعوراً يقع بين الشعور الواضح واللاشعور الغير الواضح.

كما نجده أيضاً في المصطلحات الأدبية تحت عبارة الهامشية Marginality على النحو التالي: "بدأ الاهتمام في النقد الحديث بموقف الكتّاب والشعراء الذين لم يشتغلوا مكاناً معترفاً به في التاريخ والأدب بسبب عدم انتمائهم إلى المؤسسة الاجتماعية والمؤسسة الأدبية المرتبطة بها." (3)

فالمعنى هنا أن الهامشية عنيت بدراسة الكتّاب والشعراء الذين لم يعيروا أي اهتمام، ولم تعطي لهم مكانة معترفة بها سواءً في التاريخ والأدب كونهم لا يعدون من المجتمع والمؤسسات الأدبية التابعة لها مثل شعراء الصعاليك.

وعلى الرغم من طبيعة الملتبسة لمصطلح التهميش كمفهوم "فقد تم صقله تدريجياً وأظهر قدرة على تفسير تراكم عمليات لها أصولها في قلب السياسة والاقتصاد والمجتمع، وتحديد المسافة بين الأفراد والجماعات ومجتمعات علاقتها مع مركز السلطة والموارد والقيم السائدة، كما بات من الواضح بشكل متزايد أن مفهوم الاقتصاد يكمل ذلك المتعلق بالفقر." (4)

1- د. كريمة بوكروش، أدب الهامش، elearning.univ-djelfa.dz، توفر المنصة محاضرات، أعمال موجهة وأعمال تطبيقية، تاريخ المشاهدة 20/04/2020.

2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 517.

3- الطالبة دحوي أحلام، الهامش في الرواية العربية الجزائرية (المقبرة البيضاء لأحمد زغب)، رسالة ماجستير، قسم اللغة، كلية اللغة والأدب العربي، جامعة أبو بكر بلقايد، 2017-2018، ص 13.

4- www.pdf factory.com، تاريخ المشاهدة 21 أبريل 2020.

نستنتج من خلال هذا القول أن مصطلح التهيمش، إن تم عزله، فقد استطاع على حل التراكم الموجود في الكثير من المجالات المختلفة السياسية منها الاقتصادية والاجتماعية والمجتمع والعلاقات التي تجمع بين المجتمعات ومراكز السلطة.

وعلى إثر ما سبق نجد أن مفهوم التهيمش قد تعدد وأصبح "مفهوماً مركباً وذلك لتداخله مع مجموعة من المكونات كالمجتمع والزمن والقضاء والتاريخ والجغرافيا والثقافة والسياسة، وهكذا لا يمكن دراسته وتحليله بعيداً عن هذه المكونات التي في الحقيقة أبعاداً وأوجه عديدة". (1)

باعتبار الهامش واحد من المصطلحات الإشكالية التي يكثر استعمالها، فهو يشمل فئات متعددة، إذ أنه يشغل على عدة مصطلحات منها التاريخ والجغرافيا... الخ، التي ساهمت في إثراء دراسته وأكسبته أبعاداً جديدة، وعليه فإن الهامش يعتبر مصطلح شائع ومتعدد على السنة معظم المجتمع.

ومن خلال هذه التعريفات نجد الروائية النمساوية "الفريد يلينك" أيضاً التي تحدثت في محاضرتها لتسلم جائزة نوبل للأدب سنة 2006 بعنوان مهمشة حيث قالت: "أن الهوامش في خدمة الحياة التي على وجه الدقة لا تتحقق، ولا لما كنا نغوصُ في لجنها في ملائمتها، ملائمة الحياة الإنسانية، وهي في خدمة ملاحظة الحياة التي تجري أبداً في مكان آخر حيث لا يكون المرء". (2)

وفي تعريفها هذا نجد أنها تقر بأن مسألة الهوامش جاءت لخدمة الحياة حسب رأيها بكل تفاصيلها وأسرارها، ولا يتحقق ذلك، إلا من خلال الغوص في خباياها وفي ملائمتها.

ونجد كذلك ابن خلدون في مقدمته يتحدث عن مفهوم الهامشية في الثقافة الذي ظهر فيما بعد في كتابات بعض اللاحقين وذلك من خلال مقولته المشهورة: "المغلوب مولع أبداً بالاقتراء بالغالب في شعاره وزيه نحلته، وسائر أحواله وعوائده". (3)

وهنا تطرق ابن خلدون في مقولته هذه إلى ربط الهامشية بالشخص المغلوب، والذي عادة يأخذ من غالبه كقدوة له في سائر أحواله وعوائده.

فقد عرف في نفس السياق "فريدريش راتزل" الثقافة الهامشية بأنها الثقافة التي تخام ثقافة أخرى (مركزية) وتتميز بفق عناصرها واقتصادها". (4)

1- سعيد شمائل، الهامش في سينما الجيلالي فرحاتي، مجلة نزوى، العدد الأول، نوفمبر 1994، <http://www.nazwa.com>، تاريخ المشاهدة 22 أبريل 2020.

2- أدب الهوامش، هيثم حسين، <https://ALARB.com>، تاريخ المشاهدة 20 أبريل 2020.

3- منى بونعام، المركز والهامش، مجلة الخليج، تاريخ النشر 2015/08/05.

4- منى بونعام، المركز والهامش، مجلة الخليج، تاريخ النشر 2015/08/05.

ومن خلال منظور "فريدريش راتزل" حول الهامشية فإن هذه الأخيرة تحيل إلى ثقافة مختلفة غلب عليها طابع الفقر وضعف قوتها الاقتصادية.

وعرفها أيضا "فانسون باير" فيقول: "أن الهامشية بين المنحرف والمتشرد من الناحية القانونية، بين المجنون والمدمن من الناحية الصحية، وبين الأمي والمهاجر من الناحية الثقافية، وبين الفقير جدا والعاطل من الناحية الاجتماعية والاقتصادية".⁽¹⁾

فقد عرض لنا "باير" الهامشية في مختلف الجوانب ونسب إلى كل جانب بعض الصفات كالمنحرف والمتمرد من القانون والمدمن والمجنون في الصحي، ونسب إلى الجانب الاقتصادي صفتين الفقير والعاطل عن العمل... الخ.

وأما المفهوم الجمالي للهامشية: هو الخروج بالشكل الجمالي للنص الأدبي عن تقاليد الكتابة المألوفة إلى حد يجد فيه النقاد صعوبة في تخيله أو إدراجه في نوع من أنواع الأدب".⁽²⁾

فالهامشية هنا تحاول الخروج عن أطرها القديمة، وإعطاء النص الأدبي صبغة وحلة جديدة بكسر القوالب القديمة وإزالة تقاليد الكتابة التي كانت عليها من قبل.

فجدها "تبرز ظاهرة على شكلين أساسيين:

أولا: واقع الطبقات الاجتماعية المغتربة منذ زمان بعيد عن المشاركة الواقعية في خيارات وأنشطة المجتمع، إنها الهامشية الاجتماعية والاقتصادية التي تعود جذورها إلى بنى الإنتاج والتنظيم الاقتصادي للمجتمع، وأما الشكل الثاني للهامش يظهر من خلال رفض إرادي وجلبا لاندماج في المجتمع الذي نلفظه أنها الهامشية الاجتماعية الثقافية".⁽³⁾

وهنا درست ظاهرة الهامشية في نقطتين أساسيتين:

أولهما: لنا حالة الطبقات الاجتماعية المغتربة التي عينت بالإنتاج والتنظيم الاقتصادي للمجتمع والمساهمة في أنشطته، والنقطة الثانية تطرقت إلى إشكالية رفض التلاحم والاندماج الكلي في المجتمع في إطار الهامشية الاجتماعية الثقافية.

1- جيخ صورية، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، قسم الأدب واللغة العربية، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015 - 2016، ص 20.

2- المرجع نفسه، ص 52.

3- سلمى بلحاج مبروك، الآخر الهامشي، www.maaber-org/issue-my14/spotting.hpm، تاريخ المشاهدة 20/04/2020.

"فالهامشية كوضعية مختلفة تنتجها اختيارات إرادية لدى الفرد هروبا من التمنيظ وتفجير النموذج" (1)

بمعنى أنها تمثل نتيجة لرغبات الإنسان الناجمة عن الاستبداد والتمنيظ ، لذا نجده ينهرع إلى تفسير رغباته بطرق مختلفة ومعبرة عن رسالته وهروبا من الواقع المرير المفرض عليه.

والتهميش بصفته يمثل مصطلحا في الدراسات الأدبية الحديثة خضع لسلسلة من الانتقالات عبر حقول معرفية أكسبته أبعاد موضوعاتية جديدة وفق السياقات والوظائف التي شكلته، كما أن ارتباطه بظواهر اجتماعية (مجموعات وسلوكات وقيم)، ضمنته أنساق معرفية وثقافية سوف تمكننا من قراءته بحسب السياق التاريخي والثقافي للمنتج والمتلقي، فقراءة الهامش في شعر الصعاليك مثلا يرتبط بالمركز الذي أنتج شعره لا باعتباره سلطة فحسب لكن باعتباره نسقا ثقافيا مغايرا. " (2)

ف نجد أن التهميش في مختلف التعاريف والنظريات التي نتطرق إليها جعلت منه مصطلح ذو أبعاد موضوعية مختلفة، كما تناول دراسات وظواهر اجتماعية كظاهرة الفقر مثلا، وشعر الصعاليك.

وفي ضوء هذا السياق نجد أن " الكتابة الهامشية قديما كانت تلحق بالنص الروائي في أسفل الصفحة، لإضاءة المتن وتفسيره مع جميع الجوانب اللغوية والدلالية والتاريخية والمعرفية والاصطلاحية، وهي تشكل نصًا مستقلاً بذاته على الرغم من موقعه في هامش المتن، إلا أن الكتابة في الهامش تكون تنفيذا عن المتن بحكم ضغط المتن، وقد تكون تنفيذا من خلال الهامش فقد تعبر عما لا يستطيع المتن أن يعبر عنه." (3)

فالكتابة الهامشية هنا تتعلق بكل ما هو مخطوط ومرسوم، ونقصد بها كتابة في حواشي النصوص وعلى هامشها في آخر الصفحة، وذلك من أجل توضيح المتن وتفسيره مع الكثير من المصطلحات منها المعرفية والدلالية، إذ تعتبر هذه الكتابة نوع من الانزياح الذي يحول المركز إلى الهامش.

الكتابة الهامشية: الكتابة الجدارية: لا أخفي أنني لا أنظر إلى الجرافيتا من زوايا بيولوجيا، أخلاقية، ألحن ممارستها في السر والعلن معتبرا إياها كتابات ساقطة، ماجنة، وقحة، تتم من خلال التربية وعصب في التنشئة. " (4)

هنا يرى أحمد شراك أن الخلفيات التي ترد وراء الكتابة الجدارية ليست سوى انحطاط للأخلاق، فكلها مجرد سلوكات ساقطة ولكن بعد ذلك تطلع إلى أنها تحمل معنى كبير وغاية، وفي نفس الوقت رسالة وهي التعبير

1- هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب: قراءة سوسيوثقافية، ص 48.

2- جمال مجناح، المفاهيم في موضوعة التهميش والمهمشين: قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، ص 7.

3- هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب: قراءة سوسيوثقافية، ص 40.

4- هويدا صالح، مرجع سابق، ص 51.

عن الأفكار والرغبات التي حرم منها ويستعسر البوح بها، فلم يجد غير الكتابة على الجدران كوسيلة لإبلاغ رسالته أو الاحتجاج عن قضية ما.

و" يتجلى الهامشي أيضا في الخطابات الموازية والكتابات المنبوذة، إذ ثمة كتابة لا يمكن لمن يتحدث عن الهامش والكتابة الهامشية أن يغفلها، وأعني الكتابة الجدارية أو ما سمي في الأدبيات بالجرافيتي...، وغالبًا ما تكون كتابة إحتجاجية رافضة لما يرفضه المركز على الطبقات المهشمة." (1)

إن الهامش هنا يشمل كلما هو منبوذ، إذ أن هناك كتابة إلى كلمة الجرافيتي و يعنى بها الكتابة الجدارية التي تمثل الكتابات المجونية وتحتل الجدران العامة والخاصة بحيث اعتبرت من أهم القضايا التي تواجدت في الهامش، فقد كانت هذه الكتابة في غالب الأحيان ترفض كل ما يرفضه المركز في الدرجات المهشمة.

ونستنتج مما سبق أن كل هذه الدلالات المطلقة على الهامش توحى لنا بالدونية وقلة الشأن والوضاعة، فبالرغم من اختلاف هذه التعاريف وتعددتها إلا أنها تشمل عدة جوانب، ولهذا تم استبعاده تماما من التداول.

ثانيا: مفهوم المركز:

التعريف اللغوي:

جاء في لسان العرب لفظة رك ز، "ركز المركز، غرزك شيئا منصبا كالروح ونحوه، وتركيزه راکزاً في مركزه، وقد ركزه، يركزه ويركزه، راکز، ركزه: غرزه في الأرض [...]، ومركز الرجل موضعه [...] ومركز الدائرة وسطها." (2)

من خلال التعريف اللغوي الذي جاء به معجم لسان العرب حول مصطلح المركز، فنجد أن لهذا الأخير اشتقاقات عديدة فمثلا: اشتق من الفعل "ر ك ز" منه فهو الشيء الثابت الذي لا يتحرك في الأرض كما يمكن ربط بموضع الرجل بمعنى محله ومكانه، ومثلا القول بمركز الدائرة أي قلبها أو بالأحرى النقطة التي يتوسطها والتي تشير بطبيعة الحال محيط الدائرة، فالمركز إذا يلمس كل ما هو عميق وهام.

"والمركزية: جمع السلطة في مركز واحد، وركز بمعنى كثف وتركز أي أصبح أكثر قوة وكثافة، وانصب على مسألة أو عمل وانحصر فيهما." (3)

1- د- نور الدين باكرية، الشعر المغاربي المعاصر من مركزية سلامة اللغة إلى تقويض قواعد اللغة عبر اللغة الشعبية، مجلة مداد الأدب، عدد خاص بالمؤتمرات 2018-2019، الجزائر، جامعة الجزائر 2، 1989،

"http://www.iazj.net/iasj ?Fumc=Fulltext.aid=177.857 "

2- أنطوان نعيمة وآخرون، المنجد الوسيط في اللغة العربية والمعاصرة، دار المتون، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 437.

3- جيجخ صورية، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوي، ص 52.

وفي هذا القول يوحى إلى القوة والكثافة والتحكم، في الملك والسمو والقدرة.

التعريف الاصطلاحي:

أ- اجتماعيا:

"يتجلى المفهوم الاجتماعي القديم في التقسيم الطبقي لفئات المجتمع فتختلف طبقة الأسياد عن العبيد، وطبقة الأغنياء عن الفقراء، وتنتج عادات خاصة باللباس، والأكل والشرب والجلوس والسمر."⁽¹⁾

والملاحظ في هذا التعريف بروز ظاهرة الطبقة التي سادت خصوصا في العصر الجاهلي، ضف إلى ذلك الفروقات الواضحة بين شرائح المجتمع كالاختلاف من فئة الأسياد عن العبيد والأغنياء عن الفقراء والعادات الناجمة في كل هذا التقسيم، لا يمكن لطبقة العبيد أن تمارس نفس عادات الأسياد أو تلبس نفس اللباس، بحكم اختلافها الاجتماعي و الاقتصادي.

1- الباح دليلة، الهامش والمركز: مفهومه، أنواعه، جذوره، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه "ل.م.د" في الأدب واللغة العربية، قسم الأدب واللغة العربية، كلية الآداب و اللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015-2016، ص 299.

ب-سياسيا:

يرى ابن خلدون أن المركز هو القلب النابض للدولة وإذا غلب المركز لم ينفع الأتراك، أما إذا لحق الضرر بالأطراف فالملك سوف يستمر إلى أن يؤذن الله بزواله. (1)

ومن هنا فإن المركز حسب "ابن خلدون" بمثابة المحرك أو القلب النابض حسب تعريفه والذي يسير الدولة، فثبات المركز لا يستدعي بقاء الأطراف حسبه، كما يؤدي زواله إلى سقوط الإطار.

ج- أدبيا:

نحن نتحدث عن الأدب نذكر أن هذا الأخير محكوما بعدة جوانب: دينية، سياسية، اجتماعية، ثقافية، فنية، حالية، تاريخية... وبناءا على ذلك تُهمش آداب، وتبرز بعضها للوجود فتأخذ موقع الصدارة. (2)

وبناء على هذا الأخير فإن الأدب قيد بدراسته مجالات مختلفة ومن خلال دراسته لها فقد تطرق إلى تهميش الكثير منها، كما تطرق في نفس الوقت إلى عرض بعض الآداب إلى الوجود وإعطائها ميزة خاصة مما جعلها تحتل الصدارة.

1-الباح دليلة، مرجع سابق، ص 300.
2-المرجع نفسه، ص 301.

ثالثاً: العلاقة بين المركز والهامش:

لقد عنيت فكرة المركز والهامش باهتمام كبير لدى النقاد والدارسين، حيث أصبحت هذه الجدلية من أكثر المصطلحات غموضاً وإثارة للجدل، وهذا لوجود الفرق الكبير بين هذان الآخرين ومن هنا نتساءل العلاقة بينهما:

أ- علاقة صراع وتصادم:

وذلك عبر علاقة العرب بالغرب في إطار محاولة الغرب حكم العالم ونشر ثقافته والحكم من منطق أحادي ضمن مشروع العولمة. إذ نجد أن "المفهوم القديم في علاقة المركز بالهامش مبني على الصراع الحربي والتنافس السياسي وموت الحكام ودمار البلدان، فالاستعمار المباشر وتحطيم السلطة المركزية، وسيلة اعتمدها دول المركز لاستنزاف خيرات دول الهامش".⁽¹⁾

حيث يبرز جلياً هنا احتدام الصراع في الأونة الأخيرة من الهوية الثقافية والعولمة، فهذه الأخيرة تحاول إعداد نظام عالمي جديد بكل ما يترتب على هذا النظام من سلبيات تمس بالدرجة الأولى دول العالم الثالث، فالعولمة تسعى إلى إنتاج ثقافة واحدة ونشرها بكل رموزها، ما يعني طمس معالم وهويات البلدان الأخرى.

ب- علاقة تعايش وتكامل:

" إذ غلب على هذين المصطلحين التنافس والصراع، فغالبا ما تحققا التكامل والتعايش بينهما، إذ نجد في هذه العلاقة بعض النقاط التي نقف عليها والتي نحاول رصدها فيما يلي:

■ المتن والحاشية:

لقد ذهب اللغويون إلى تعريف الحاشية بقولهم هي: " جانب الثوب، وأهل الرجل وناحيته وظله، حاشي منهم فلانا: استثناء منهم".⁽²⁾

فالمعاني التي نسبت إلى هذين العنصرين جاءت لتحيل إلى نوع من الاستبداد والتبعية في نفس الوقت، فمن هنا يمكن الجزم بأولوية المتن إذ يعد الأصل والكل هو المركز، كما تحيل الحاشية إلى الهامش.

■ الأدب الذكوري والأدب النسوي:

1- الباح دليلة، مرجع سابق، ص20.
2- جيجخ صورية، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوي، ص56.

حيث حقق هنا الأدب جدالا ونقاشا عميقا إثر هيمنة العنصر الذكري على العنصر النسوي والتبعية المفروضة بالنسبة للمرأة، فمن هنا ترصد قول أرسطو: "الأنثى موجود يتسم بالعجز والقصور، والدونية والسلبية، لهذا ينبغي عليها الخضوع والاستسلام، أما الذكر فهو الإيجابي النشط وهو الأعلى والأرقى والأسمى لذلك فهو يأمر ويحكم ويفكر، والمؤهل لحكم الأنثى." (1)

بناءا على قول أرسطو تظهر بوضوح سلطة الرجل على المرأة دائما خلف قضبان الرجل وتحت سيطرته ورحمته دون مراعاة لمشاعر المرأة.

ونستنتج أن ثنائية المركز والهامش من المواضيع التي أثارت جدالا واسعا في الساحة الأدبية وهذا لشاسعة الفرق بين هذين المصطلحين، ومن خلال هذا نجد أن جدلية المركز والهامش جدلية لا مناص منها، كون العلاقة التي تجمعهما كعلاقة اللون بالظل، إن صح التعبير لهذا يصعب الجزم بنوعية العلاقة التي تربطها.

1- جيخج صورية، مرجع سابق، ص57.

رابعاً: مفهوم أدب الهامش:

لقد شاع أدب الهامش في السنوات الأخيرة شيوعاً واسعاً من حيث تعدد مفاهيمه، فنجده كما يلي :

"أدب الهامش هو كل أدب ينتج خارج المؤسسة سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو أكاديمية، وهو بذلك يقع بعيداً عن الرعاية والاحتضان بل ويحوي العمل على نبذها واستبعادها من دائرة الضوء وقد تسلط عليه الرقابة والمنع، إذ ما بدا عليه أنه يتجاوز الخطوط الحمراء المنبهاً عليها." (1)

وفي هذا القول نجد أن أدب الهامش هو كل من خرج من إطار المؤسسة، أيًا كان نوع هذه المؤسسة سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو حتى منضوية في خانة الروابط، فقد كانت فكرة التهميش تشمل منطقة من ديناميكية التخلي والنبذ، إذ أنه أدب نشأ في العتمة بعيداً عن الأضواء، فهو لا يحتفي به أو بتعبير آخر هو الأدب المختلف عن الأدب المألوف، ومن هذا هو الأدب المعارض الذي يكسر المعايير الفنية المكرسة ويعاكس الإيديولوجيات السائدة.

كما" يمكن اعتبار أدب الهامش واجهة لفكرة التمرد والخروج عن المألوف، وبالتالي هو كل ما لا يعترف بالهيمنة والنمطية والقوالب الجاهزة، فالسلطة هنا ليست سلطة الدولة ولكنها سلطة الكتابة الكلاسيكية، فكل كتابة إبداعية تخرج عن النسق المألوف تعتبر كتابة هامشية." (2)

ومن هنا فإن أدب الهامش قد تم إقصاءه نهائياً من التداول باعتبار أنه يصنف على أنه أدب متمرد على المألوف، فهو مفهوم يشمل كل ما هو مرفوض ومستبعد إذ أنه يقوم على ربط الكتابة الهامشية بقواعد الكتابة التقليدية.

ونجد" مفهوم النقد الهامشي- الأدب الهامشي- هو تلك الممارسة الفنية والعملية التي تجمع إلى جانب الكشف عن الجمالية في النصوص تحصيل المنهج العلمي الصحيح أثناء النظر في مضامين أجناس الأدب الهامشي، إذ لا يختلف عن أي ممارسة نقدية أخرى في باقي الأجناس الأدبية الأخرى." (3)

من خلال هذا القول نجد أن النقد الهامشي هو ذلك الأدب المعارض الذي يكسر المعايير الفنية ويعاكس الإيديولوجيات السائدة، إذ أنه نشأ مع نشأة الأدب، فنجده قد تجلى أكثر في نهاية القرن العشرين، كما

1- حسن بحراوي، أدب محمد شكري: من الهامشية إلى المركزية، مجلة علامات المكناس، المغرب، العدد 18، 2002، ص 9.
2- جمال مجناح، المفاهيم في موضوع التهميش والمهمشين: قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، ص 4-5.
3- أسعيدة خلوفي، انطولوجيا الأدب الهامش بين النقد والوظيفة: الخيال العلمي نموذجاً، مجلة الأثر، العدد 24، مارس 2016، جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، ص 99.

يعرف أيضا بأدب الضد، وخير مثال على هذا هو الأدب الجزائري الذي يكتب إبان الاستعمار هو الأدب الهامش.

ونستطيع القول أيضا أن " أدب الهامش ذلك الذي لا يعرف التلوث، ولا يرغب في انتهاز الفرص، ولا يميل إلى الأقوياء، بل يعين على رفع الظلم عن المظلومين، يكرس نفسه لخدمة قضايا الإنسان، من حيث هو إنسان لمساعدة المحرومين والضعفاء." (1)

ومن خلال ما سبق فإن أدب الهامش يعتبر الجانب الأدنى والأبعد وباعتبار أنه أدب معارض، فهو يمثل أقل أهمية بالنسبة إلى الآداب الأخرى.

لقد اعتبر أدب الهامش "مقولة إيديولوجية أكثر من مقولة جمالية فذلك أنه يتأسس على تقديم المعرفة والانتصار للفكرة على حساب الشكل، وقد ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في النصوص الشعبية الشفوية وأدب الجوالين، أما ابتداء من أواخر القرن العشرين فقد اقتصر على الرواية البوليسية" رواية البحث العلمي والشريط المرسوم والرواية الوردية والرواية المصورة. (2)

ذلك أن الهامش يقوم في مبدئه، على أساس المحتوى من حيث تقديم المعرفة وكيفية إيصال الفكرة وليس على الشكل الجمالي، ومنه فقد تعددت مجالات دراسته، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، اهتم بالنصوص الشعبية الشفوية وتطرق في أواخر القرن العشرين إلى تناول دراسة الرواية البوليسية، الوردية... الخ، بمعنى آخر الرواية بأشكالها المختلفة.

1- جيجخ صورية، المركز و الهامش في روايات عز الدين جلاوي، ص 50.
2- سعيدة خلوفي، انطولوجيا الأدب الهامش بين النقد و الوظيفة : رواية الخيال العلمي أنموذجا، ص 95.

خامسا: تمثلات أدب الهامش:**أ- الأدب الشعبي:**

"كان الأدب الشعبي وسيظل المعبر الحقيقي عن حياة الشعوب وعاداتها وتقاليدها، والمحافظة على هويتها، ولأنه كان أدبا مجهول المؤلف، باعتبار طابعه الجماعي وغير مدون لأنه ينتقل بالرواية، ولأنه أيضا أدب عامي اللغة." (1)

فالأدب الشعبي هنا هو الأقرب إلى الشعب، بحيث نجد أن العادات والتقاليد مستمدة من الموروث الشعبي، فقد كان هذا الأدب أدبا مجهول المؤلف، فنجد مثلا مؤلفي الأغاني فالكثير من أسمائهم تظل مجهولة لأنهم لم يدونوا أسمائهم، حين عرضوا تلك الأغاني، وإنما نقلوها عن طريق الرواية، إذن فالأدب الشعبي يكتب بلغة سهلة وبسيطة بلغة عامية.

"كما نجد أيضا الأدب الشعبي في أصله يسير على حاجات نفسية واجتماعية وفكرية تتناقل من جيل إلى جيل مسيرة عن نوع من التواصل المستمر على مستوى الجماعة التي تنفق ميولها وتتحدد آمالها وآلامها." (2)

من خلال هذا القول نستنتج أن الأدب الشعبي يمثل تلك الظاهرة الاجتماعية التي تعبر عن حاجات جديدة، إذ أنه تبنى أشكالاً تقليدية شفوية منها القصص والخرافة... الخ، التي تتوارث عبر جيل لآخر، وعلى هذا نجد أن الشاعر الشعبي يعبر عن مجمل آمال المجتمع والأمة بلغة مؤثرة.

ب- أدب الطفل:

"اعتقد الدارسون أن أدب طفل هو أدب من الدرجة الثانية، إن كان أدبا أصلا ذلك أن يقوم على جمال الأسلوب وجودة الصياغة وتعالى اللغة، ولم يعرف اهتمام بهذا الأدب إلا لتحقيق وظيفة أخلاقية لأبناء النبلاء وعبر قصص هادفة تحكّمها المربيات هذا في أوروبا، أما في الهند و بلاد فارس، فكان وسيلة تعليم الملوك و الأمراء مختلف شؤون الحياة من هذا المنطلق ظن الكتّاب أن كتاباتهم للطفل هي نزول مستوى أدنى في التفكير والتعبير أيضا متجاهلين سعة خياله التي قد تتجاوز سعة خيال الإنسان الراشد." (3)

1-سعيدة خلوفي، مرجع سابق، ص 96.

2-هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب : قراءة سوسيوثقافية، ص 139.

3- سعيدة خلوفي، انطولوجيا الأدب الهامش بين النقد و الوظيفة : رواية الخيال العلمي أنموذجا، ص 97.

ومن هنا اعتقد بأن هذا الجنس الأدبي هو أدب من الدرجة الثانية، فهو حديث النشأة، فقد كان في الإرهاصات الأولى لم يولي أهمية كونه ضعيف من حيث القيمة والإنتاج.

ج) الرواية البوليسية:

"على الرغم من أن الرواية البوليسية اعتبرت من الآداب غير الجادة مدة طويلة من الزمن، غلا أنها استقطبت شريحة كبيرة من القراء الذين اشتدوا فيهم مواصفات خاصة، أبرزها الذكاء، وسرعة البديهة، والاهتمام بالتفاصيل الصغيرة من أجل السيطرة على النص والوصول إلى دل مختلف الألغاز التي يقوم عليها." (1)

وعلى هذا نجد أن الرواية البوليسية تعتبر جنس خاص جداً من أجناس الأدب، ونصا ثقافيا يوظف كل المعارف والحقائق ضمن رواية غنية ذات شكل، فهي رواية تتميز شعبيتها لدى قرائها، لأن قوامها الإثارة والتشويق، كما تتميز أيضاً بالذكاء الذي يعطي حل لمختلف الألغاز.

وكاستنتاج نجد أن الأدب الهامشي أدب مضاد، فهو بذاته يقع خارج سياق الأدب الرسمي، الذي يضم الأدب الشعبي، أدب الطفل، الرواية البوليسية ... الخ، والتي تمثل أحد نماذج ثقافية الهامش، إذ نجد أن رواية الحي السفلي تعتبر أدب هامش نسبة إلى الواقع الذي يعيشه الحي، فهو هامش مقرون بالوباء والخطر وكذلك الموت، فهذه الخيرة تمثل الصورة الواقعية لهذا الواقع مثلاً: موت والد البطل... الخ، فكل هذه الدلالات توحى إلى أن الحي السفلي واقع مهمش، باعتبار أنه حي معزول ومهدد للخطر.

1- سعيدة خلوفي، مرجع سابق، ص 98.

خاتمة

في هذا الفصل عنينا بدراسة حول مفاهيم ومصطلحات المركز والهامش في شتى مجالاتها، وكيف بدت العلاقة البديهية في التفاعل بينهما، حيث توصلنا إلى أن الهامش يعتبر مكان مقرون بالخواء، فمهما كان اختلافه وتعدده فإنه يمثل أدب هامشي منبوذ وبعيد عن دائرة الضوء، أما المركز بوصفه مصطلحاً فهو يرد بكثرة في الدراسات الاجتماعية بصورة كبيرة، ويمثل مستوى غال من التركيز والسيطرة، ومع مجريات هذا الفصل بيننا أن مفهوم المركز والهامش يبني على العلاقة بين القلب النابض بالقوة وبين محيطها، كما قدمنا تعاريف لكل المصطلحات التي يشتغل عليها موضوعنا كالهامشية، حيث أسند هذا المصطلح في المعاجم اللغوية إلى الكلام و الحركة أو إكثار الكلام في غير صواب، ونجد أيضاً أن التهميش هو مصطلح ذو أبعاد موضوعية مختلفة التي تتناول ظواهر اجتماعية مثل الفقر. و منه فإن الهامش يمثل ظاهرة التمسست الشعراء و الكتاب الذين لم يعيروا لأي مكانا معترفا بها بحكم انتماءاتهم الاجتماعية.

الفصل الثاني:

الفضاء المكاني وثنائية المركز

والهامش

تمهيد

الحي السفلي هو الحي الفقير والمعزول الذي يكيل لسكانه أنواع المعاناة والفقير، والذي ينتمي إلى الفضاء الهامشي المهدد للخطر والموت، مما أدى هذا إلى تحوله إلى واقع مغلق.

إذ نشير في هذا الفصل إلى معاني الحي والسفلي في المعاجم اللغوية، ثم نتطرق إلى بعض النماذج الدالة على هذا الحي والتي ندعم بها كشواهد للوصول إلى دلالات الحي السفلي، واستخراج الدلالة المشتركة فيما بينهما، وكذا تقديم الوظائف التي يؤديها عنوان هذه الرواية، وبيان العلاقة التي تربط بين العنوان و المتن، ثم ننتقل إلى تقديم مقارنة بين الحي السفلي والمدينة، وفي الأخير نقوم بتحليل الفضاء المكاني الذي تدور فيه أحداث هذه الرواية، وهذا المكان يعتبر بطل الرواية المحوري، فكل شيء يدور حوله وحول الوضعية الهامشية، بما فيه من مظاهر الفقر والمعاناة والبؤس التي يعانيها سكانه.

أولاً: دراسة العنوان كبنية مستقلة:

1. أ - تعريف ومعنى السفلي في معجم المعاني – معجم عربي عربي:

في معجم الوسيط:

"س ف ل]: فعل لازم، متعد بحرف.

سفل، يسفل، مصدر سفالة.

* سَفَلَ الولد: حُشِنَ، نُدِّلَ، انْحَطَّ.

* سفل في الشيء: نزل من أعلى إلى أسفل.⁽¹⁾

وهنا نجد أن لفظة "سفل" قد أخذت معاني متعددة فهذه المعاني تنتمي إلى العالم السفلي المرتبط بما يقابله والذي هو الأعلى.

* كما نجد أيضا لفظة سفل في المعجم الغني:

"س ف ل]: فعل رباعي متعد، سَفَّلْتُ، أسفل، سَفَّلَ، مصدر تسفيل.

سفل الشيء: أنزله من أعلى إلى أسفل.

[س ف ل]: فعل ثلاثي لازم متعد بحرف، سَفَّلَ، يسفُلُ، مصدر سُفول.

سفل في العلم: كان قليل الحظ فيه.⁽²⁾

ومنه نجد أن لفظة "سفل" قد وردت في سياقات متعددة، فمثلا: سفل الشيء الذي يعني حفظه أي أنزله من أعلى إلى أسفل، والأعلى يمثل نقيض الأسفل، فصار أسفل من غيره عكس علا.

وأما في معجم اللغة العربية المعاصرة:

سفل "س ف ل: السَفَّلُ بضم السين وكسر ها، السَفُّوْلُ بالضم والسَفَّالُ بالفتح والسَفَّالَةُ بالضم ضد العلو بضم العين وكسر ها والعلو بالضم والتشديد والعلاء بالفتح والمد والعلاوة بالضم، يقال قعد بسفالة الريح وعلاوتها والعلاوة حيث تهب والسفالة بإزاء ذلك والسافل ضد العالي وبابه دخل والسفَّالَةُ بالفتح النذالة

1-المعاني الجامع، <http://www.almaany.com>، تاريخ المشاهدة 2020/07/21.
2-المصدر نفسه.

2- تعريف ومعنى الحي في قاموس معجم المحيط:

الحي (معجم قاموس المحيط):

- "الحيُّ، وحيوانٌ، وحيأةٌ وحيوةٌ: نَقِيضُ المَوْتِ.
- حي: حياة، وحيّ يَحْيِي ويَحْيَا."⁽¹⁾

إن الحي قد مثل في عدة معاني منها الحياة، الحيوان، إذ نجد أن هذا الأخير هو الحي ذو الجنس ويقع على الواحد والجمع.

"الحي (معجم عربي عربي عامة)

- من أسماء الله الحسنَى.
- الحي (معجم كلمات القرآن).
- الدائم الحياة بلا زوال.
- سورة البقرة، آية، رقم: 255.
- تآزر أهل الحي (معجم عربي عامة).
- مطاوع أزر.
- تحاجز أهل الحَيّ (معجم عربي عامة).
- انفصل بعضهم عن بعض.
- الحي: اسم من أسماء الله الحسنَى ومعناه: الدائم الوجود، الباقي حيًّا بذاته أبدًا الذي تتدرج جميع المدركات تحت إدراكه وجميع الموجودات تحت فعله. "الله لا إلا هو الحي القيوم"⁽²⁾

ومنه فكلمة الحي دالة على سبحانه المنفرد بالحياة الدائمة والباقية.

وهذه الآية "الله لا إله إلا هو الحي القيوم"، تفيد أن الحياة لله محضا، إلا ما أفاضه لغيره، إذ يمثل اسم الحي الحياة الثابتة على وزن سائر الصفات المشتبهة في دلالتها على الدوام.

2-الشواهد التي تدعم دلالات الحي السفلي:

¹-المعاني الجامع، <http://www.almaany.com>، تاريخ المشاهدة 2020/07/26.

²-المصدر نفسه.

فقد ورد الحي السفلي في هذه الرواية في معاني متعددة وهي التي تمثل شواهد تحيل إلى الفضاء المكاني، ومن بين هذه الشواهد نجد:

أ- حي الصفيح:

" أتوقف، أتطلع للبيوت وللمداخل المقفلة من الخارج، يسوء مزاجي حين أرى تلك العلامات المرسومة بالحبر الأبيض. هل هي لعنة من الله على هذا الحي؟ أم هي مجرد ابتلاء لقياس درجة الإيمان؟ إيمان فقراء حي الصفيح دون أغنياء المدينة."⁽¹⁾

هو حي فقير ومعزول مكون من منازل الصفيح، فهو مهدد بوباء الكوليرا، إذ أنه عرف بهذا الاسم بسبب تلك العلامة التي وضعت على كل أبواب الحي وهي ما تعرف بعلامة "اكس" والتي تدل على القيد والعزلة، إذ نجد أن هامش هذا الحي يعاني من الفقر والحرمان الاجتماعي، مما جعل هذا الواقع البائس الذي يعيشه سكان الحي يحس بالدونية والاحتقار وموغل في الفقر والتهميش، إذ أنه يتحول إلى واقع مغلق.

ب- ساحة الأبطال:

"أين سكان الحي؟ هل ماتوا؟ هل قضى عليهم المرض؟ بدت لي الفكرة غريبة ومستحيلة. محاولا إبعادها من رأسي، أهرول إلى ساحة الأبطال مقتنعاً أنّ أصدقائي هناك يتحدون المرض والموت."⁽²⁾

وهنا تمثل ساحة الأبطال الشارع المعزول الذي يسود فيه اليأس والحزن الشديد الذي يعاني منه البطل على هؤلاء الذين هم أصل هذه الساحة، والتي تمثل صورة الحي الفقير وتعبر عما يعانيه من التهميش الذي يحاصره الوباء والموت والمهدد بالخطر.

ج- الحوش:

"أقضيما تبقى من يومي ممدداً على لحاف وسط "الحوش" متطلعاً للسماء وباحثاً عن وجه أمي التي أفتقدتها مع الأيام."⁽³⁾

1- عبد الوهاب بن منصور، الهامشية في رواية الحي السفلي، ط 1، الوسام العربي، بيروت- الجزائر، 2016، ص 73.

2- المصدر نفسه، ص 62.

3- المصدر نفسه، ص 227.

الحوش وهو المكان الذي يجد فيه أحمد القط الطمانينة والهدوء، فيعزل لوحده باحثاً في مخيلات عن صورة أمه التي يفقدها ويرغب في اللحاق بها.

د- الضريح:

"كان الضريح مزاراً لكل تائه ومريض. وكان سيّدنا يمنع زواره السّلم والأمان، حتّى حدث ما حدث في ذلك اليوم." (1)

وهو مكان متواجد في الحي يقصده أهل الحي وآخرون بغية قضاء حاجاتهم، كأن يشفي أحد من مرضه أو يلتجأ إليه من تاه طريقة إلا أن صار لعنة بكل من يدخل إليه.

هـ- المقبرة:

"مع الضحى زرت المقبرة لأتعرّف على المكان الذي يؤوي جسدي، وجدت الحفّار كعادته، يهيئ ثلاثة قبور لاستقبال الموتى الجدد، سألته عن أحوال الموتى، فلم يندهش من سؤالني، واكتفى بابتسامة رقيقة، وهو يؤكد لي أنّ حالهم أفضل من حالنا." (2)

التجأت الشخصية البطلة إلى المقبرة، هروبا من أعوان المكتب الثاني، الذين جعلوا طفولته كلها كوابيس ومعاناة، حيث نلاحظ مع مجريات الرواية أن أحمد وجد المقبرة الأمان والهدوء الذي كان يفقده وهو في الحي، كما وجد قبر أمه الأنيس لهمومه واشتياقه.

¹- الرواية، ص 120.
²- المصدر نفسه، ص 12.

3-دلالات الحي السفلي:

الحي:"يعتبر جزءا لا يتجزأ من المدينة لكنه مميز بين أجزاء المدينة الأخرى، تلك السمات العامة التي تتميز الحياء مثل بداية الحي ونهايته، والتي تمثل بمداخل شوارع معينة، وتنتهي بمخارج، ومثل مستوى متجانس للحي في الشوارع والمحال التجارية والمسكن، أحيانا يخصص تداخل بين حي وآخر لكن هذا التداخل لا يؤثر جوهرياً على عملية تميز هذا الحي عن ذلك، ومن هنا تأتي صيغة جمع أحياء." (1)

فالحي إذن هو مكان ذو إطار واسع وعميق، إذ أنه يستقل على مجموعة من المباني والشوارع، فتحيط به غالباً شوارع رئيسية عن غيره من الأحياء فتميزه عن المدن الأخرى.

أ- دلالة سياسية:

• التحرر:

ونعني به تحرير عقولنا من الأفكار والعادات البالية التي تقيد أفعالنا وسلوكنا، إذ نجد أن الحرية عند الإنسان تعتبر جزء من طبيعته، فهي تصون كرامة الإنسان وحقوقه، فالإنسان الحر يقوم ويكافح، من أجل تذليل كل العقبات والصعوبات، ومن خلال رواية الحي السفلي لعبد الوهاب بن منصور نجد أن دلالة التحرير ترمز إلى الشفاء من المرض (الوباء)، بمعنى التحرر من سلطة المكتب الثاني الذين حاصروا الحي، لأن السلطة تسعى دائما إلى السيطرة على الجسد، كون أن التحكم في الأجساد يكون من خلال التعذيب، وهذه السلطة تظهر كآلة لصناعة العداد للوهمين، فتغرس بذرة القلق في نفوس ضحاياها، وبالتالي نجد أن لفظة التحرير حملت دلالات سياسية أساسية، والمعنى منه أن الشفاء من المرض هو التحرر من السلطة، لذا فيمكن لأي إنسان أن يحس به ويدركه من خلال نفسه ومن خلال وجوده كإنسان في هذا العالم، ومنه فالتحرر بوصفه العام يعني التحرر من قيود السلطة التي تعود بالفائدة على المجتمع.

¹-جهد صالح عبد اللطيف سلامته، الأبعاد الاجتماعية السياسية في التطوير الحضري لأحياء الفقراء، استكمال الحصول على درجة الماجستير في هندسة التخطيط الحضري الإقليمي، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2010، ص 16.

ب- دلالة اجتماعية:**• الانتحار:**

فهو دلالة رمزية، يمثل في رواية الحي السفلي لعبد الوهاب اليوم الذي حاول البطل الانتحار، وهو اليوم الذي يصادف عيد الاستقلال هو تعبير عن عجز الفرد في مواجهة معضلاته الحياتية، وما تعرضه البطل خلال حياته من إساءات و رضوض نفسية، فيصف أن الموت هو حدث استثنائي، يمنح له ذلك الإحساس بأنه فرد حر ومستقل، ومن خلال هذا نجد أن الانتحار هو الفعل الذي يتسبب في قتل الشخص نفسه عمدًا، وذلك بسبب اليأس والاضطراب النفسي الذي يعيشه الفرد، فيجد أن الموت هو مطلق الإحساس بالحرية الشخصية، ومن حق الفرد أن يعبر عن رفضه للحياة البائسة والهروب منها، ومن الأوضاع المعيشة السيئة التي يعيشها، ومنه نجد أن الانتحار يعتبر محاولة جادة لوضع نهاية الألم الغير المتحمل، وكذا الوسيلة الوحيدة للهروب من الظروف الضاغطة التي يعيشها المجتمع، ومن خلال تلك الرواية تبين لنا أن الموت في ظل دولة استبدادية هو انتهاك لقوانين الدولة.

الدلالة المشتركة:**دلالة مكانية:**

من خلال التعرف على دلالة كل من الحي والسفلي، توصلنا إلى أن لهذين المصطلحين دلالة مشتركة أو نقطة يقفان عليها.

حيث أن الدلالة المكانية ميزتها الخاصة في الرواية، باعتبار أن المكان من العناصر الأساسية التي تبنى عليها، إلى جانب الشخصيات، فلا يخلو علينا، إذ أن عبد الوهاب بن منصور قد اجتهد بشكل بارع في وصف وتصوير المكان أي السفلي وملحقاته بشكل سلس ومعبر أكثر كونه ساهم في إعطاء صورة شبه مماثلة لذلك الحي القصديري المنبوذ من طرف السلطة، مما جعل من القارئ يحفر نفسه أكثر لمواصلة تتابع تطورات الرواية، كونه عايش أحداثها كأنه عضو فيها، كما عرض لنا الكاتب المكان الهامشي كلوحة موحشة وحزينة يعمها الظلام والسوداوية في كل ركن من أركانها، مكان للأسف مقرون بوباء فتاك (الكوليرا) نهايته الموت البطيء، ولتكن الرؤيا واضحة أكثر.

طرح لنا معالم أغلبية الأهالي في تلك الحقبة التي كلها مظاهر عن الفقر والظلم، الاستبداد والتهميش... الخ، والهامشية بكل ما تحملها (الكلمة من معاني).

4- وظائف العنوان:

تعتبر وظائف العنوان من المباحث الصعبة الموازي، باعتبار أن النص هو الذي يجد هذه الوضعية، إذ أن العنوان هو مفتاح جوهرى، يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص، فنجد أن العنوان عند هاوسر: " هو مجموعة من العلامات اللسانية بين كلمات وجمل وحتى نصوص، فتظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلي وتجذب جمهوره المستهدف ... (1)

فالعنوان إذن يمثل جزءا مهما من أجزاء العمل الأدبي، باعتباره أولى عتبات النص التي لا يمكن تجاهلها، فهو الذي يمنح للنص هويته، وتعتبر العلامة التي تطبع النص أو الكتاب التي تميزه عن غيره، بمعنى أنه الوسيلة الوحيدة التي يمكن لصاحب النص أن يستعملها وذلك من أجل جلب اهتمام القارئ أو من الواضح أن للعنوان عدة وظائف أهمها:

أ- الوظيفة التعيينية:

" وتعرف أيضًا بوظيفة التسمية، لأنها تتكفل بتسمية العمل الذي تسميه، وفيها تشترك الأسماء أجمع وتصيح بمقتضاها مجرد ملفوظات تفرق بين المؤلفات والعمال الفنية بل هي رواسم تهدي إلى الكتاب ... " (2)

ومن هنا نجد أن الوظيفة التعيينية تمثل من أكثر الوظائف انتشارا للعناوين، التي تحدد هوية العمل الأدبي وتجعل القارئ يفهم محتويات النص، ومن يعين اسم الكتاب. بمعنى يحدد هويته، وتسميته، إذ نجد أن عنوان الهامشية في رواية الحي السفلي هو من اختيار الكاتب (عبد الوهاب بن منصور) أو من الناشر لاسم الكتاب وذلك من أجل تداول القراء فيه، والبحث عنه في المكتبات والرغبة في التعرف عليه، وبالتالي نجد أن الكاتب عبد الوهاب بن منصور قد ربط رواية الحي السفلي بالنص لكي يعين المحتوى.

ومن هنا نجد أن الوظيفة التعيينية ضرورية ولازمة، فهي من أهم الوظائف للعنوان لأنها دائمة الحضور، وتقوم بتحديد العنوان بوصفه اسمًا للمؤلف.

1- إيهاب مصطفى، سيميائية العنوان في "صك العنوان"، تاريخ المشاهدة 2020/08/01، www.thaqafat.com
2- مسكين حسنية، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر، مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الحديث والمعاصر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الأدب واللغات والفنون، جامعة وهران - ألسانيا، 2013-2014، ص 52.

ب- الوظيفة الإيحائية:

"وترتبط هذه الوظيفة ارتباطاً شديداً بالوظيفة الوصفية، وهي ضرورية لأن كل عنوان مثل أي ملفوظ له طريقته في الوجود وأسلوبه الخاص، كما أنها تعتمد على مدى قدرة المؤلف على الإيحاء والتلميح من خلال تراكيب لغة العنوان."⁽¹⁾

وهنا لا يقصد بأن الوصفية والإيحائية نفسها، لأن الأولى تعنى بتقديم تفاصيل أكثر دقة على الموصوف، أما الثانية فهي تقدم فقط تلميحات على شيء موصوف، وتستخدم هذه الوظيفة من أجل الحصول على الغموض الذي يؤدي إلى الرغبة في الكشف عن الإيحاءات وما تحيل إليه داخل النص، وتحدث عن عنوان الهامشية في رواية الحي السفلي لعبد الوهاب بن منصور، فمثلا عنوان الهامشية يحيل إلى مكان مقرون بالوباء، والموت، وعنوان الحي السفلي يحيل إلى مكان معزول، ويعتبر هذا المكان بطل الرواية الذي تدور حوله المعاناة ومظاهر البؤس سواء كان مادي أو معنوي، وكذا القهر الذي يعاني منه سكان الحي المهدد للخطر والموت والوباء، مثال: موت والد البطل حيث يقول في هذا الصدد: "موت أمي في ذلك المساء، لم يشفع لنا أنا وجدتي، من مغادرة البيت".⁽²⁾

فالوظيفة الإيجابية إذن ليست دائما قصدية ولا يمكن لأي كاتب التخلي عن هذه الوظيفة سواء أراد ذلك أم لا، إذ نجد جرار جنات يقول: "بإمكان العنوان أن يكتفي بهذه الوظيفة دون وجود الوظائف الأخرى لأنها هي مؤكداً وظيفة العنوان".

ج- الوظيفة الوصفية:

"وهي الوظيفة نفسها عنها "ليوهوك" عندما عرف العنوان على أنه مجموعة من العلامات اللسانية، ترد طالع النص لتعينه وتعلن عن فحواه وترغب القراء فيه، فموجب هذه الوظيفة يصف العنوان النص ويقول شيئاً عن موضوعه ونوعه أو جنسه الأدبي أو كلاهما معاً، ولذلك فهي دائمة الحضور ولا غنى عنها."⁽³⁾

1- مسكين حسنية، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر، ص53.

2- الرواية، ص 15.

3- مسكين حسنية، مرجع سابق، ص53.

من خلال هذا التعريف الموجز للوظيفة الوصفية، فإن العنوان الذي بين أيدينا "الحي السفلي" كله وصف الهامشية التي عان منها مكان حي الصفيح، إضافة إلى القهر والظلم والاستبداد فكلها علامات تدل على المعاناة والبؤس التي عايشها أهل الحي السفلي، والتي تمكن فيها الكاتب من إيصالها لنا من خلال مجريات الرواية، فهي جعلت القارئ يتشوق لمعرفة تفاصيل أكثر عن مضمون الرواية.

د- الوظيفة الإغرائية:

"وتسمى أيضًا بالوظيفة الإشهارية وهي الوظيفة التي تغري القارئ وتحدث له تشويقًا وتثير فضوله، وهي وظيفة مشكوك في نجاعتها حسب "جنيت"، وترتبط إن كانت حاضرة بالوصفية والإيحائية، ولكن حضورها أو غيابها عادة ما يرتبط بمستقبلها للذين لا تتطابق أفكارهم وقناعاتهم دائمًا مع واضع العنوان، لأن هذا الأخير عندما يضع عنوانًا لعمله، إنما يخاطب من القارئ ثقافة وملكات، ويستعمل من اللغة طاقتها في الترميز، وليس همه التواصل إلى المضمون أو الشكل بقدر ما تعنيه مفاجأة القارئ." (1)

فهنا نجد أن هذه الوظيفة تنجم عنها عدة تساؤلات، التي تحدث نوعًا من الفضول والإثارة والجدب في نفس القارئ، وهي تهدف إلى الرغبة في التواصل والاستكشاف، والقادرة على شد انتباه القارئ، إذ تكمن الجاذبية في عنوان "رواية الحي السفلي" لعبد الوهاب بن منصور في الطفولة المحرومة، وذلك الوباء المميت الذي ضرب كل الحي، وما يعانیه من تهيمش وكذلك يوم انتحار البطل في يوم موافق لعيد الاستقلال الوطني وهذا الذي ولد فيه مجموعة من الأسئلة التي كانت مجهولة الإجابة، إلا بعد اطلاعنا على نصوصها، ومنه فقد عدت الوظيفة الإغرائية من أخطر الوظائف، إذ يعد وفيها العنوان شبيهًا بأي مادة استهلاكية، يقدم في شكل جذب، وتعتبر أيضًا الوظيفة المهمة للعنوان والتي يعول عليها كثيرًا الناشر وذلك من أجل تسويق الكتاب لغاية مرجوة والمتمثلة في زيادة كمية للكتاب، وكذا يعتمد عليها الكاتب نفسه لإغواء القارئ وإثارة فضوله وجذبه للقراءة.

1- مسكين حسنية، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر، ص 53 – 54.

5- دراسة علاقة العنوان بالمتن (مضمون الرواية):

إن حقيقة البؤس النفسي والاجتماعي التي يعيشها جيل من المنفيين والمهمشون، أهالي الحي السفلي جعلوا من الهامشية عنوان لحياتهم، إذ من الواضح أن عنصر التكافؤ والتكامل يظهر جليا بين العنوان وموضوع الرواية، فالمتعمن إذن في عنوان الرواية هامشية الحي السفلي يدرك أنه يخدم الموضوع المطروح دون الخوض في تفاصيله، ولعل الأبعاد المختلفة التي تناولتها الرواية خاصة الاجتماعية منها، قد التمست الكثير من المظاهر التي توجي إلى ظاهرة الهامشية بدءاً من حياة البطل إلى الحي الذي يقطنه رفقة الأهالي.

وختام الكلام، أن عبد الوهاب بن منصور قد تمكن فعلاً من تحقيق التزاوج بين العنوان والموضوع.

ثانيا: تقطبات المدينة والحي السفلي

- المقارنة بين الحي السفلي والمدينة (أهالي الصفيح الفقراء وأهالي المدينة الأغنياء والأصحاء).
- نحاول في الأول تقديم تفصيل عام للحي والمدينة، بالاعتماد على جدول يوضح أوجه الاختلاف، ثم نسلط الضوء على الحي السفلي ومكانه مقارنة بالمدينة وأهلها الأصحاء، من خلال الاستعانة بالرواية التي نحن في صدد دراستها:

الحي	المدينة
- شوارع ضيقة.	- شوارع شائعة.
- منازل هشة.	- منازل فخمة و ضخمة.
- نقص إمكانيات الضرورية، (المستشفيات، المراكز ... الخ)	- توفير إمكانيات العيش.
- فساد الأخلاق وانحطاطها الضجيج.	- رمز للشفاء والطهارة والهدوء.
- عدد محدد من السكان.	- اكتظاظ السكاني.

* تحليل المكان الهامشي للحي السفلي:

كما يقال الصورة أبلغ من الكلام، ولعل صورة الحي السفلي توجي إلى نوع من التهميش بكل أنواعه، حيث تجلى هذا الواقع في صورة حي فقير أو مكان مقرون بالوباء والخواء والموت والدمار والحصار من طرف السلطة، يقع عند أطراف المدينة والمحاذي لحدودها. فحياة الشفق والبؤس التي لازمت أهل الصفيح، جعلت منهم ينظرون إلى الحي كشبح يهدد حياتهم وكابوس يرافقهم كل ليل.

إذ نجد أن الحي السفلي في حقيقته مكان يقطنه أناس فقراء عاديون، يسعون لكسب قوت معيشتهم بالحلال، فكانت شوارع يأتنسها صراع ولعب الأطفال ومحبة وتعاطف الأهالي بينهم إلى أن حلت عليهم لعنة الكوليرا، حيث أصبح لوحة مشوهة مصحوبة بعلامة اكس (x) المهدد بالدمار، كونه بطل بجمال المدينة حسب نظر السلطة، كما تطرق عبد الوهاب بن منصور في تصوير وضعية الحي الذي يضم عائلات حاصرها الوباء والجوع، مع ظلم السلطة لهم، وكذا الحصار الذي أقامته السلطات على الحي السفلي

وفرضت عليهم المكوث في البيت وذلك خوفا من نقل العدوى على أهالي المدينة الأصحاء الذين يعيشون الحياة السعيدة، بكل أنواعها غراراً على أهالي حي الصفيح المهمشين من طرف الدولة والسلطات.

فمن خلال هذا المنطلق حول الاختلاف الموجود بين المدينة والحي، فإن عبد الوهاب بن منصور في رواية الحي السفلي وصف لنا واقع الحي الفقير الذي يعمه الازدحام وبؤس عنوانها، ولعل غلاف الرواية يوحي إلى نوع من التعاسة والاكتظاظ بين منازلهم، وعدم نظافة شوارعهم وسوء أحوال أرصفتهم وانعدام كل إمكانيات العيش فيه، كما عرض لنا حال تواضع البيوت والمساكين، حيث كان أغلبها عبارة عن بيوت قصديرية وإلا ما زاد من تعاسة حي الصفيح الوباء الذي حلّ بأهلها، حيث رسمت كل البيوت بعلامة "اكس" الدالة على النبذ والحصار، فكل هذه السمات والأوضاع جعلت من الحي السفلي زمن يقطونه ينخرون عن دائرة المدينة وأهلها الأصحاء، التي تتوفر فيهم كل الإمكانيات العيش السليم، فبمجرد الدخول إليها تحس بنوع من الفخامة، فخامة بيوتها ومحلاتها وشاسعة شوارعها، وجمال حدائقها، وأماكن الترفيهية فيها، وإذ تطلعنا إلى أهل المدينة يظهر لنا بوضوح معنى الحياة السعيدة والرغبة في طريقة أكلهم وملبسهم خلافاً عن أهل الحي القصديري الذي انتهك المرض أجسادهم وعمّ الجوع والبؤس بيوتهم.

خاتمة:

من خلال هذا المنطلق فقد عينا بدراسة العنوان كبنية مستقلة لإعطاء صورة عن هامشية الحي السفلي، والتي رصدنا فيها حقيقة البؤس الاجتماعي والنفسي... الخ، حيث اقتصرنا على بعض النقاط التي حددنا فيها مصطلح الحي و مصطلح السفلي، و بيننا فيهما بعض المقاطع التي دعمنا فيها دلالات الحي السفلي، وكذا إبراز أهم الوظائف التي قام بها العنوان، ثم توصلنا إلى دراسة علاقة العنوان بالمتن أي مضمون الرواية و التي تلخص وضعية فيما تكمن هذه الهامشية؟ انطلاقا من التناقض الكبير بين الحي السفلي والمدينة وبين أهالي حي الصفيح وأهالي المدينة الأصحاء، حيث تجلت بوضوح حياة الشطف التي لازمت الحي السفلي الحجر الناتئ وتفشي الوباء، البؤس وحتى الأماكن المهمشة التي تستظمر نتوءات الحياة في تفاصيلها العميقة، إضافة إلى تلك العتمة الداكنة التي أرهبتهم في نواتهم في ظل القهر المعاش نفسيا، حتى أصبحوا يهزون عالمهم دون شكوى ولا أنين، إذ يبنون سعادتهم من تعاسة يومهم، كما نرصد تحليليا الفضاءات المهمشة (الضريح - المقبرة - الأسوار القديمة - الأزقة الموحشة ... الخ)، والتي بدورها أفضية تحليل إلى فضاء واحد وهو الحي السفلي الذي يعيش على خلفية واقع مرير، إذ ما قرن المدينة التي يكثر فيها السكارى المنبذون، الفقهاء، العاهرات إلى أن حياة الرغاء تظهر عليهم.

وصفوة القول إذن أن روايتنا إنما جاء هدفها لرصد خلفية هامشية، حي فقير كله نبرة بليغة عن الحزن والأسى، منبعها الأصلي طموح شاب في مقتبل العمر، مشرق وإحساس رائع بمتعة الحياة، وهي تتدفق ثم تكبر في كيانه لتضيع في نهاية المطاف بين أيادي قاسية.

الفصل الثالث:

البطل / الشخصية الهامشية

تمهيد:

لطالما ارتبطت الرواية بأدوات تحركها من بدايتها إلى نهايتها، ولعل الشخصية واحدة منها: حيث أنها تعد القلب النابض التي تقوم عليها الرواية، إلا أننا في هذا الفصل وقفنا عند شخصية مغايرة والتي تدعي بالشخصية الهامشية، فهي تعني الحدث أو تلقي الأضواء على الفكرة، فتجسدها وتحركها وتجعل منها كائنا من لحم ودم، وكما أنها تعتبر إيديولوجيا وثقافيا إنتاج المرابطة الاجتماعية السائدة، وتؤديها بها تقدمه من أعمال فنية، ترسخ الرؤية الفكرية التطبيقية للمجتمع.

ومن خلال هذا المنطلق حول التعريف الموجز للشخصية الهامشية، سنرصد مدى هامشية شخصية ملقبة بأحمد القط، وبيان مظاهر التهميش التي صادفها انطلاقا من الاستعانة بمجريات الرواية.

أولا: تحليل حياة البطل:

بطل الرواية هو عبد الرحمان المدعو بأحمد، الذي يروي قصته مع وباء الكوليرا و مع رجال المكتب الثاني الذين اتهموه بالتآمر مع الدولة، فَيُجْر في بيته بحي الصفيح بمدينة ما، بسبب الشك في إصابته كغيره من السكان بذلك الوباء، إذ نجد أن كل بيوت السفلي تحمل على أبوابها علامة (x) المرسومة بالجير لدلالاتها بالحجر، فصار يعرف الحي كله بحي "اكس"، وقد كان أحمد يعيش مع أمه وجدته في حالة مزرية ثم اكتشف بأن والدته مصابة بالوباء، فأصبحت إحدى ضحاياه، ومع غياب الرعاية الصحية والحجر الصحي الذي فُرض عليهم من طرف مكتب المخابرات، أدى هذا إلى موت أمه، فبقيت جدته السند الوحيد له في تلك الحياة التي يسودها الحزن و المعاناة بعد وفاة أمه، فكان يعيش بين اليقظة و النوم و بين الحلم و الغيبوبة، حتى أصبحت حالته النفسية تتدهور وذلك بسبب وفاة أمه و بسبب المرض المنتشر في أرجاء الحي السفلي، الذي يضم عائلات يحاصرها الجوع و الوباء و الخوف، وكذا ظلم السلطة لها، والتي كانت من الأسباب التي دفعت بأحمد بالانتحار في اليوم الذي ظن بأنه يوم يتحرر فيه الإنسان، فهو اليوم الذي يصادف عيد الاستقلال الوطني، فوجد بأن الانتحار هو الحل المناسب للتخلص من تلك المعاناة والخوف الذي يعيشه، لكن محاولته هذه باءت بالفشل، وظن نفسه بأنه مصاب بالكوليرا، فانتقل إلى المستشفى للتأكد من إصابته بعدو الكوليرا أو عدمها، فكان يزوره طبيب هندي لتفحصه كل يوم، وفي الحين تراوده فكرة أن يتحول إلى قط، وهذا بسبب ولعه للقط وتكون لديه الحرية التامة للتسلق فوق سور الحي السفلي؛ ويذهب حيث يشاء دون أن يعارض طريقه أعوان المكتب الثاني، و بعد اختبارات عدة يتأكد الطبيب الهندي من شفاؤه، ولكن يحرسون بحقنة مخدر ليضمنوا بقاءه بينهم في المستشفى، و بعد أنتلقى شهادة طبية تثبت شفاؤه بعدما صرّح عليها الطبيب، وصادق عليها الضابط العسكري، ألقى القبض عليه و أرسل مرة ثانية إلى المستشفى، وهناك تعرض إلى المساءلة و التعذيب بأشنع الطرق، ودفعه للاعتراف بأشياء لا علاقة لها بجناية لا يعلم عنها شيء ولم يقترفها، و ذلك لاختياره الذكرى العشرين لاستقلال بلاده، معتبرا أنكل هذا معارض للنظام الذي يترأسه الروخو فسيان، وهو القائم على أجساد المواطنين وآلامهم، و بسبب هذا اليوم تعرض أحمد القط للمساءلة و لمشاهد التعذيب النفسي و البدني من طرف أعوان المكتب و ذلك لعدم كشفه عن الحقيقة، إذ ينفذون بطنه كالكرة بأقدامهم، فهنا نجد أنهم يتفنون بالفعل في طرق التعذيب التي تؤدي إلى الموت، وعلى الرغم من كل هذا التعذيب إلا أنه تمكن من الفرار، وهناك تسلق السور القديم للمقبرة، فاتخذ ضريح قديم ومهجور ملجأ إليه الذي هو عبارة عن لعنة ولي الضريح، إذ ما دخل عليه أحد، فلن يخرج إلا وصار أعمى، وأحمد القط قد سكنته روح شريرة، فاسترجع تلك المعاناة التي عاشها من قبل، فتعرضه جدته على فقيه الحي الذي يحاول إخراج تلك الروح الشريرة، حيث استعمل معه أشنع الطرق التي تصل إلى حد الكي بالنار، ويفعل الفقيه كل هذا ليسترجع بصر أحمد القط الذي فقدته بسبب تحديه للولي ودخوله إلى ضريحه الذي

حرمه على الناس، إذ فقد بصره مثل العشيقين اللذين دخلا إليه وخرجا لا يبصران حيث يقول السارد في هذا الصدد: "فأغواهما إبليس، فوقها في المحذور، فخرجا من الضريح وفقدنا بصرهما ..."⁽¹⁾

و في كل يوم تذهب جدة بأحمد لمداومته إلى هذا الفقيه و حرصها الشديد على سلامة حفيدها، حيث قال الفقيه للجدة بأن أحمد يسكنه كائنا أسود شريراً، ولا بد من العنف لإخراجه، ولم يبق أمامه سوى مرحلة التراب وهو تراب الضريح، فاستخدم كل هذه الطرق حتى شفي تماما، ونجى من العمى، لكن مطاردته لم تتوقف من طرف مكتب المخابرات، وعند رجوعه إلى البيت، سمع الحوار الذي دار بين أبيه و جدته بخصوص الروخوفسيان، و طموحه إلى منصب عال فدخل في حلم ثورة سكان الحي السفلي، ضد السلطات التي تسعى لهدم الحي، وإقامة منتجع سياحي مكانه، وفي حين ذلك قام أحمد بزيارة قبر أمه، وأخذ يبحث عن شخص يأويه، ليختفي من عيون المكتب الثاني، فلا يجد سوى بيت "العربي المونشو" ليلجأ إليه (فهو الرجل الذي فقد ذرعه الأيمن)، فاستقبله مع أن الوقت قد قطع شوطا من الليل، وجلس معه يشرب القهوة، وبدأ أحمد باسترجاع كل ذكرياته مع ابنة المونشو "جميلة"، إذ كان حبه لها هو الذي جعله يتعلق بالحياة، باعتبار أنها الوحيدة التي سكنت قلبه، حيث يراها في كل وجوه النساء الجميلات، ولا يتصور بأنه موجود إن لم يحلم بها، ولم يتوقف عن التوهج لقلبها، إذ أخذ أحمد حديث طويل مع العربي المونشو، فاجتر نصائحه عن مجابهة الجبن و الخضوع لنزوات السلطة، وقد نصحه ألا يرضى بالاختباء وراء الجدران، وإن لزم الأمر الفرار إلى الخارج، لكنه يخشى أن تثبت ضده التهمة التي ألصقت ببعض معارفه، ثم ذهب أحمد للبحث عن صديقه رشيد يماها الذي فقد أهله بسبب الوباء، لكن لم يجده في بيت خالته التي يسكن معها، إذ عرف الروخوفسيان أن بيت هذه الأخيرة مقر اللقاءات المشبوهة مع نساء موسمات، وبعض من رجاله، حيث يرى أحمد القط بأن الحياة لم يبق لها طعم في "الحي السفلي" بدون رشيد يماها وفريد الزاوش، الذي كان يراه أحمد في ساحة الأبطال بالحي السفلي، و ثم يعود إلى حديث العربي المونشو الذي طلب من أحمد القط الابتعاد عن ابنته جميلة التي ليس له غيرها، بعد ما فقد زوجته، إذ يقول السارد في هذا الصدد: " أن تبتعد عن جميلة، ابنتي التي ليس لي أحد غيرها ..."⁽²⁾

و هنا تؤكد أحمد بأن جميلة سمعت ما دار بينه والمونشو، لكنها مازالت متمسكة به، ورافضة فراقه، إذ تجنبت حديث أبيها في علاقتها مع أحمد، وأوصته أن يعتني بأبيها، خلال غيابها في الدراسة الذي يفوق أسبوعين أو ثلاثة؛ و ثم عاد أحمد أيضا إلى دراسته في المدرسة التي انتقل إليها مع تلاميذ الحي، بعدما أن تم غلق المدرسة القديمة في الحي السفلي، فهناك يلتقي بيوسف تلميذ ليس ككل التلاميذ، فهو تلميذ في صورة رجل،

1- الرواية، ص 120.
2- المصدر نفسه، ص 219.

يسكن في بيت عليه علامة اكس (x)، وقال للمعلم بأنه يسكن في حي اكس، حتى صار يناديه رفاقه بيوسف اكس، وفي اليوم الثاني يقصد أحمد إلى بيت "العربي المونشو"، ليرى صديقه جميلة، إذ تفاجأ بامرأة اسمها رشيدة التي كانت بعمر أمه لو ظلت حية، فتقدم نفسها على أنها ممرضة التي تتكفل بالمونشو سواء في طعامه أو دوائه ... الخ، كما تفعل ابنته جميلة، فقد شددت أحمد بابتسامتها العريضة، وجذبتة من خلال حركاتها وطريقة كلامها، ثم استدرجته ليعيش معها مغامرات سواء في السهرات أو الشرب، في ذلك الضريح المهجور، وهناك أقام علاقة حميمة معها، وكانت جميلة تشاهد في خيانتها لها، وفي اليوم التالي ذهب ليصارحها بأنها الوحيدة التي سكنت قلبه، لكن لم يجدها لأنها عادت إلى الجامعة، فحتى أبوها لم تودعه، وبينما كان أحمد يزاوّل دراسته في تلك المدرسة الجديدة، و يحضر لامتحان البكالوريا الذي لم يبق غير ثلاثة أسابيع مع يوسف اكس الذي صار صديقه، إذ ما جاءه خبر وفاة أخوه محمد الذي عاد من الخارج في تابوت، فقيل له أن أخاه انتحر بسبب قصة حب فاشلة، وهذا ما جعل جدته تدخل في غيبوبة بسبب صدمتها لوفاة حفيدها محمد، مما أدى إلى موتها، وفي الأخير نستنتج أن الأقدار و المصائر تتشابك في حياة أحمد القط، كما هي متشابكة في مصير بلد كله، لأن أحمد كذلك هو من أبناء الحي السفلي، له أحلامه و طموحاته، لكن كل هذه طمشت في مهدها بسبب الوضع المعيشي.

ثانيا: هامشية الشخصية :**1- الشخصية الهامشية:**

تمثل الشخصية العنصر الأساسي في كل سرد، فلا يمكن أن تصور رواية بدون شخصيات، إذ نجد أن الهامشية هي مفهوم خاص في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، وغالبا ما ينظر، إلى الشخصية الهامشية في ثقافتنا العربية المعاصرة من زاوية نظر سوسولوجيا، لا ترى فيها سوى وجه الضحية البائس الذي يدفع غالباً ثمن التوجهات الاقتصادية والاجتماعية التي تخدم مصلحة أقلية ما على حساب الأكثرية، مهما كانت صفة هذا التوجه الإيديولوجية، وعلى ما تدعيه هذه النظرة في تعبيراتها الفكرية والسياسية والثقافية من تعاطف مع هذه الفئات، إلا أن نظرتها الفوقية تحبسها في ثنائية المركز والهامش، إذ نجد أن شخصيتك رواية الحي السفلى لعبد الوهاب بن منصور تعاني في بعض الحالات منها النفسية والسياسية، ونذكر بعض الشخصيات منها :

تحليل شخصية أحمد القط أو الشخصية المهمشة :

نلاحظ من خلال مجريات الرواية وتابع أحداثها أن الشخصية أحمد القط:

الشخصية الرئيسية:*أ- شخصية حزينة وبائسة:**

ويظهر ذلك في قول السارد: "لم يحزنني فقدان أمي في الأسبوع الثالث بعد رسم العلامة، بقدر ما أحزنني شعوري بالعجز واليأس أمام الموت، وهؤلاء الذين يقفون خلف الباب يمنعون الدخول والخروج من البيت. يخافون علينا منا." (1)

ب-شخصية حالمة:

" منذ وعيت، وأنا أحلم، لم أجد غير الأحلام لأحافظ على إنسانيتي قد ما أمكنني من واقع صار يشعرنني بالخواء والعماء." (2)

ومن بين أحلامه أيضا نجد محاولته للانتحار وذلك بسبب المأساة التي يعيشها والتي تتمثل في فقدان أمه، وانتشار مرض الكوليرا، لذا اعتبر أن الانتحار هو الحل الأنسب للتخلص من تلك الحياة التي يعيشها وفي

1- الرواية، ص 8.
2-المصدر نفسه، ص 7.

هذا الصدد يقول: " فكرت في الانتحار كتجربة للحظة الفاصلة بين الحياة وما بعد، ولم أرى الانتحار هروباً من واقعي، إنما هو المحطة التي وصلت إليها." (1)

ج- شخصية ينتابها نوع من الوحدة والعزلة ويظهر ذلك في قوله:

" أعود للبكاء، للعويل والصراخ، وبدا أتمنى أن يسمعي أحد ما، قد يقدر ما أنا فيه، فينقذني من الظلمة والوحدة، لكن في نفس الوقت أخشى مجيء الرخو الفسيان أو أتباعه." (2)

فهنا نلاحظ أن الشخصية البطلة ظهرت في عدة شخصيات.

د- شخصية تلفت كل أنواع التعذيب والمعاناة بشتى الوسائل من طرف أعوان المكتب الثاني ويظهر ذلك في:

" يلبسونني ثيابي المبللة، ثم يركبونني سيارة لأكثر من ساعتين، ينزلونني، يفكّون قيد يدي، لكن رأسي مازال في الكيس، تصلني لكمات على الوجه وركلة على جري، أسقط متأوها، أسمع انطلاق السيارة بسرعة." (3)

ه- شخصية متقمصة في هيئة حيوان (القط):

حيث اتخذت الشخصية البطلة هذا النوع من الحيوانات، لرغبته الكبيرة في التلذذ بطعم الحرية، والتحرر من أيدي السلطات ويظهر ذلك في: " اجلس بشكل قط محاولاً التخفيف من عبء العرق وباحثاً في نفس الوقت عن الهواء، تراودني فكرة التحوّل إلى القط، ماذا لو مسخت قطاً؟" (4)

و- شخصية متمردة وزانية:

مطاردة أحمد القط بتهمة التمرد، لأنه كان معارض لنظام مكتب المخابرات، حيث يقول السارد:

" أين ابن الزنا، أين اختفى؟

يقول آخر وهو يقطع كلامه ليتمكن صدره من أن يتنفس:

أعتقد أنه... واصل جريه ... إلى المميمة.

1- الرواية، ص 10.

2-المصدر نفسه، ص 95.

3-المصدر نفسه، ص 169.

4-المصدر نفسه، ص 42.

إن دخل المقبرة فلا يمكن العثور عليه.

يقول الثالث جازماً، ومن خلال صوته أدركت أنه الحارس بالمستشفى، ثم وصل الثاني في تقطيع كلامه:

إلى متى ... سيظل هارباً؟ سنجده ... وسيعرف ... ما ينتظره؟ غداً ... " (1).

ومن بين الشخصيات الثانوية نجد:

* شخصيات ثانوية :

(أ) شخصية الجدة:

هي حفيذة أحمد، والتي كانت السند الوحيد له، في تلك المحن التي مرّ بها بعد وفاة أمه، فقد كانت بمثابة أمه،

إذ نجد مقطع من مقاطع الرواية يقول فيها السارد:

" ظلت جدتي تلطم وجهها وخديها ومن حين لآخر تعود لتهديداتها بالشكوى والكتابة لكل المسؤولين، رغم

أن الحراس أغلقوا الباب من الخارج بعد أن وعدوها أنهم سيبلغون قائدهم برغبتها في رؤيته " (2)

(ب) شخصية الرخو الفسيان:

وهو يعتبر رئيس المكتب الثاني مع ثلاثة من مرافقه، والذي يمثل الشخصية السيئة في الرواية، ويوصف

أنه مصدر الخطر بهذه المدينة، ونجد من مقاطع الرواية، حيث يقول السارد: " سأل الروخو وهو ينظر في

وجه كأنه ينتظر منها الجواب، قابلته بنظرة فاحصة، لم تقل شيئاً بفمها، تركت بصرها يقول، التفت إلى

مرافقته وهزّ رأسه " (3)

(ج) الشخصيات المجهولة:

نجد الشخص المجهول:

هو الرجل الذي يشارك أحمد في الغرفة في المستشفى ويقاسمه في الأكل والشرب ... الخ، حيث يقول السارد

في هذا الصدد: " ليس بمقدوري أن أحمّن ما يدور في رأس هذا الذي يقابلني جالساً على حافة سريره. وعلى

الرغم من أنه يقاسمني أكله، شربه، وسجائر "المالبرو" الفخمة، ويقاسمني الغرفة، التي أفرغت من كلّ

المرضى منذ أن جاء، ويحادثني في كلّ شيء، ويسألني عند كلّ شيء فأنا لا أعرف عنه شيئاً، حتى اسمه " (4)

2-المكان الهامشي:

1-الرواية، ص 100 - 101.

2-المصدر نفسه، ص 16.

3-المصدر نفسه، ص 17.

4-المصدر نفسه، ص 82.

للمكان في بناء الرواية مكانة مرموقة يدرك من خلالها القارئ الأهمية منها، فهو البصمة التي تفتح الطريق لتستمر مسار الرواية من البداية حتى النهاية، وذلك من خلال المعاناة والأحداث والأزمة التي تحتفي بها الرواية، فنجد أن رواية الحي السفلي لعبد الوهاب بن منصور تحتوي على شخصيات عديدة أهمها شخصية البطل عبد الرحمان القط التي ترتبط بمجموعة من المكنة منها علاقة الشخصية بالمستشفى، المقبرة ... الخ.

أ) علاقة الشخصية بالمكان:

أن المكان هو العنصر المهم في خلق المعنى باعتباره المحرك الأساسي لبنية الأحداث وتسلسل الأزمنة، إذ نجد أن الشخصية هي التي تمنح معنى للمكان، حيث يقول حسن بحراوي: " أن الفضاء الذي درسه الشعريون يتميز بكونه ليس فقط هو المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية ولكن أيضاً أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها." (1)

ب) علاقته بالمقبرة:

ظن أحمد القط نفسه مصاب بوباء الكوليرا الخطيرة، فرأى بأن المقبرة هي المكان المناسب لكي يحمي فيه جسده من هذا المرض، حيث يقول في هذا الصدد: " مع الضحى، زرت المقبرة لأتعرّف على المكان الذي سيؤوي جسدي، وجدت الحفّار كعادته يهئ ثلاثاً قبور لاستقبال الموتى الجدد، سألته عن أحوال الموتى، فلم يندهش من سؤالي واكتفى بابتسامة رقيقة وهو يؤكد لي أن حالهم أفضل من حالنا." (2)

ج) علاقته بالزنزانة :

فقد قضى أحمد القط أشهر في الزنزانة التي تلقى فيها أشنع طرق التعذيب النفسي والبدني، وهذا ما جعله يعيش في حالة اكتئاب حيث يقول: " ليس لي ما أفعله غير التحديق في جدران الزنزانة التي لازالت تحتفظ بذكريات بعض من مرّوا بها، آثار دم. الدّم الذي تغير لونه، ولم يعد يعني إلا شهادة عن آلام جسد إنسان مرّ من هنا." (3)

ومن هنا نجد أن العلاقة التي تربط الشخصية بالزنزانة هي علاقة حزن.

د) علاقته بالمستشفى:

كما نجد أيضاً أن البطل مكث في المستشفى باعتبار أن هذه الأخيرة هي المكان الذي يلجأ إليه المرضى، فقد كان يتلقى فيها علاجه بسبب ذلك المرض المنتشر في الحي الفقير، حيث يقول السارد: " إدارة المستشفى تؤكد اختفاء عدد من المولودين الجدد، وكلهم من الذكور، خلال الأشهر القليلة الماضية فقط، تؤكد أنهم اختطفوا ليلاً من طرف قططك وهو ما أقرته تحقيقات الأمن والعدالة." (4)

1-براهيمي هجيرة، صورة المجتمع في رواية الحي السفلي لعبد الوهاب بن منصور، رسالة ماجستير، تخصص أدب حديث ومعاصر، كلية الأدب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، 2017 – 2018، ص 33.

2- الرواية، ص 12.

3-المصدر نفسه، ص 97.

4-المصدر نفسه، ص 115.

ومنه نجد علاقته الشخصية هنا هي علاقة انهيار.

مفهوم التهميش الاجتماعي :

"يعنى به الحرمان الاجتماعي والإبعاد على هامش المجتمع، إذ أنه يمثل عملية منع الأفراد من أو رفض الوصول الكامل إلى مختلف الحقوق والفرص والموارد التي تتوفر عادة لأعضاء مجموعة مختلفة، والتي هي أساسية لتحقيق التكامل الاجتماعي ضمن تلك المجموعة المعينة مثال: السكن، العمل ... الخ."⁽¹⁾

وهنا يعد التهميش الاجتماعي من المفاهيم المستخدمة للدلالة على الأشكال المعاصرة من الحرمان الاجتماعي، وهذا الأخير يمثل الحالة التي يعيشها الفرد، بحيث أنه لا يعتبر جزءاً من مجتمع اجتماعي أو اقتصادي ... الخ، إذ أن المجتمعات المتضررة يمنعون المشاركة الكاملة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية و السياسية للمجتمع الذي يعيشون فيه، ومن خلال هذا نجد أن مفهوم التهميش قد تم صقله تدريجياً وبين قدرة على توضيح تراكم عمليات لها أصول في ميدان السياسة والاقتصاد والمجتمع، وبالتالي فإن التهميش الاجتماعي يعد من أهم المفاهيم السوسيوولوجيا التي تعبر عن أوضاع الفئات الاجتماعية.

3-مظاهر التهميش الاجتماعي :

لقد تطرق الكاتب الجزائري "عبد الوهاب بن منصور" من خلال مجريات روايته وتطور أحداثها إلى أبرز وكل أنواع ومظاهر التهميش التي تعرض لها الشخصية الملقبة "بأحمد القط"، ولعل التهميش الاجتماعي كان أولى هذه المظاهر بحكم الحياة الأسرية وعلاقة البطل بالمجتمع، ومن النقاط التي توصلنا إليها نجد:

1. حياة الضر والبؤس التي لازمت أهالي حي الصفيح عامة وعائلة أحمد خاصة من تأزم الوضع المادي (أكل، شرب وتفشي الأوبئة... الخ) كلها أمور زادت من حدة معاناة الأهالي.
2. فاجعة الموت التي حلت بأحمد، حيث أخذ القدر أعلى إنسان على قلبه، نبع الحنان والدته التي راحت ضحية الكوليرا والآثار النفسية التي خلفها موتها من شوق وحنان وضياع.

يقول السارد: "موت أمي في ذلك المساء لم يشفع لنا، أنا وجدتي من مغادرة البيت، كما لم يشفع لأبي ولا لأخي من الدخول."⁽²⁾

¹-غاي فاطمة، التهميش والإقصاء وأثره السوسيوونفسية، www.m.alhewar.org ، تاريخ المشاهدة 2020/07/08.

²-الرواية، ص15.

3. تخلّى رب البيت عن العائلة (الأب) في وضع متدهور، بعد زواجه الثاني وإهماله لأحمد وأخيه، حيث كانت الجدة الأب والأم لهما في نفس الوقت.

"لم أرى أبي منذ أن فتح، مع زوجته، دكانا بأحد الأحياء القديمة للمدينة لبيع المواد الغذائية المهربة من المغرب، وتخلّص من عمامته الصفراء واستبدلها بطربوش تركي أحمر، ولبس بدلة بنية بربطة عنق حمراء." (1)

4. وباء الكوليرا الذي أصبح هاجسًا على أهل الحي والخلفيات التي تركها الوباء (الجوع، العزل ... الخ)، يعد فرض الحجر الصحي عليهم، مما أدى إلى تأزم الوضع المادي وتدهوره.

5. معصية في دخوله للضريح، رغم معرفته باللعنة التي تحل لمن يدخله ورغم تحذيرات المتكررة للجدة لمنعه من دخوله.

يقول السارد: "إنّه طفل، يا سيّدي، لم يفكر في العصيان.. أنت تعرف أطفال هذا الزمن." (2)

6. علاقة الحي التي تجمع القط مع ابنه العربي المونشو "جميلة" التي لم تدم طويلًا بعد إقامة علاقة غير شرعية منافية للعادات والتقاليد مع الممرضة رشيدة، حين يقول السارد في هذا الصدد: "أحاول أن أفتح نفسي بأن علاقتي بها لم تكن غير علاقة عابرة، علاقة جسديين أرهقهما الظمًا. ولا أنكر أنني تشبّث بالحياة بعد أن تشبّثت بها، بجسدها الذي منحني ما لم تمنحي إياه جميلة." (3)

7. غرابة صحبته بالقط، حيث أصبح مولعا بها، اتخذها كالرفيق والأنيس له في ظلمات الليل الطويل وتقمصه لهذه الخيرة لرغبته الكبيرة في الشعور بطعم الحرية والتحرر، وجد في هذه المخلوقات الوفاء والأمان اللذان غابا في فضيلة البشر بشر في هيئة حيوانات مفترسة، حيث يقول السارد في هذا الصدد: "أقول: عشت مع قطط ألفتني وتألّفت معها بدل الناس." (4)

8. السلوكات المتمردة الناجمة عنه وهو الناجمة عنه وهو في مقبل العمر، وصلت به إلى حد تعاطي الكحول بإقامة لقاءات سرية مع رشيدة. "مصغيا إليها، بعد أن أشرب ربيعًا تحضره معها في كلّ لقاء، تتحدث عن حياتها السابقة." (5)

1-الرواية، ص 251.

2-المصدر نفسه، ص 118.

3-المصدر نفسه، ص 148.

4-المصدر نفسه، ص 268.

5-المصدر نفسه، ص 244.

مفهوم التهميش السياسي :

"يعرف بأنه عدم اهتمام الدولة بفئة من فئات المجتمع السكانية سواء أكان عدم الاهتمام هذا سياسيا بعدم اشتراكها في الحكم والإدارة أو اقتصاديا، بعدم تنفيذ أي مشاريع تنموية لهؤلاء السكان، وكما يكون عدم الاهتمام هذا قائما على أسباب جهوية مناطقية." (1)

وهنا نجد أن مفهوم التهميش يضم في ثناياه فئات متعددة تعيش حالات ملموسة من التهميش والاستلاب، باستثناء شرائح محدودة تنعم بقدرات الدولة وهي شرائح التي تشكل على نحو عام قاعدة النظام السياسي.

4-مظاهر التهميش السياسي :

نستحضر هنا براعة عبد الوهاب بن منصور في وصف حياة طفل قهرت طفولته، الذي واجه التعذيب بتقنياته، حيث برز التهميش السياسي جليا في وقائع الرواية، ولعل الانطلاقة الأولى لمعانته مع السلطات بدأت يوم اتخاذه الانتحار كوسيلة للخلاص من حياته، إلا أن اختياره هذا كان بمثابة وثيقة توقيع مكتوب فيها الموت البطيء.

فحسب قوله: "لم أعتقد أنني الشخص الذي يهتم به الآخرون ليكون يوم انتحاري يوما شأن!" (2)

والانتحار في يوم صادق فيه عيد الاستقلال "العشرين" أي عيد وطني يعني انشفاقا ورفضاً مضاداً لسلطة توظف الثورة كمرجعية وانتهاك لقوانين الدولة.

ومن هنا بدأ أحمد القط في خوض ثورة مع السلطات، حيث تعرض إلى أشنع طرق التعذيب، وعمل معاملة الحيوان على أيادي أعوان المكتب الثاني، انتهكت كل حقوقه وانتهك جسده، كما تلقى كل أشكال المسائلات في مكتب المخابرات بتهمة التخطيط والتعدي على رموز الوطنية، فهذا الأخير لم يرحم على خطيئته، بل ذاق طعم الموت وهو على قيد الحياة، أصبح رهن الاعتداءات والضرب والشتم حتى باتت أحلام الخلاص له شبه مستحيلة.

فالانتحار حسب نظره ليس بخطيئة أو تمرد على السلطة، بل هو خيارا وهروبا من بطش الحياة وقسوتها، وأكثر من ذلك محاولة التصدي أو الاعتراض لقرار السلطة، في إزالة الحي السفلي، الذي كان ينظر إليه على أنه مشوه ومخل للمدنية لصالح مشروع قرية سياحية.

1-محمود حازم، سلسلة مفاهيم (1)، التهميش السياسي كردفانيون، <https://M.facebook.com/Kardofaneon>
2-الرواية، ص91.

إذ لم يقف أعوان المكتب الثاني عند هذه النقطة فقط، بل تعداها إلى ذلك، حين نجد الراوي يحكي بالتفصيل ما يعيشه في مركز المخابرات من مسائلات وتعذيب كلها صور من صور المكتب الثاني بتهمة التحريض بإقامة حرب هو زعيمها والقط جنودها كما يزعمون، ويظهر ذلك في المقاطع المختلفة منها قولهم: " فهل تعرف أن كل هذه الأوراق فيها شكاوى ضدك." (1)

" شرطة المرور تؤكد أن نسبة الحوادث ارتفعت بشكل مذهل بسبب القط التي صارت تهاجم السائقين. " (2)
" إدارة المستشفى تؤكد اختفاء عدد من المولودين الجدد، وكلهم من الذكور. " (3)

فالنظر إلى طبيعة التهم التي وجهت له من طرق الجزائر، الشرطة، المستشفى، إلى أن السؤال المطروح فما هي علاقة أحمد بهذا الأمر؟ وما هي مصداقية هذه التهم؟

كما من المعروف أن النظام الأحادي أو السلطة عندما تضع هدفا بين يديها، لاتهم الوسيلة أو الحيلة التي تتركبها لتحقيقه، فكم من مناضل لقي حتفه أو مات تحت طاولة التعذيب أو داخل زنزانة يسكنها الرعب والظلام والحزن، ومن جوانب الأخرى التي ظهرت فيها معاناة الشخصية هي المعاناة التي عاشها في ظلام الشعوذة، والعادات والتقاليد، حيث تلقى كل طرق التعذيب من طرف الفقيه وصلت إلى حد الفعلة والكي بالنار ومناولته لكميات هائلة من الماء، إلى جانب التعذيب النفسي الذي مارسته المرأة، عضو من أعضاء المخابرات في المكتب الثاني و التي بالأخرى تعرف بعض نقاط ضعف أحمد فصارت تستعملها ضده، وتوعده بالوبل إن لم يعترف، وهو ليس له أدنى فكرة.

ومن هنا نستخلص أن البطل خاض معركة بل حرباً على جبهتين هما:جبهة مقابل العادات والتقاليد التي تقول إن أحمد القط تسكنه روح شريرة، لايد من اتخاذه وسائل معذبة تصل إلى حد الكي بالنار لإخراجها. وجبهة مقابل النظام: ويظهر ذلك من أدوات التعذيب التي استعملها المكتب الثاني، كالجهاز الكهربائي للنيل من جسده ونفسيته، وكل ذلك إرغاماً على الاعتراف بأمور لا علاقة بها، تهم نسبت إليه، وهو ليس بدراية عنها (محاولة الانتحار في يوم الاستقلال وتوظيف القطط والمساس براحة غيره).

1-الرواية، ص 114.

2-المصدر نفسه، ص.ن.

3-المصدر نفسه، ص 115.

خاتمة

لقد عينا في هذا الفصل بدراسة تفاصيل حياة الشخصية "أحمد القط"، حيث توصلنا إلى أن هذه الأخيرة لم تبخل عليها قسوة الحياة، فقد ذاق مرارة كل كأس منها، فلم يعيش أحمد القط طفولة عادية كباقي الأطفال، بل عاش كالبالغ الذي تاه وغازض في دوامة ومناهة الحياة، إذ نجد أن من خلال مجريات الرواية رأينا رغبة أحمد الملحقة في الانتحار، حيث اعتبره الوسيلة الوحيدة للخلاص من تعاسته ومرارة الحياة عليه وتمردًا على الواقع المفروض عليه، فهي قصة الطفل الذي عاش مذلولًا في بلده وهاربا من متابعة السلطات على جرم أو جرائم نسبت إليه وهو ليس لديه أدنى فكرة عنها.

ومن بين نتائج التحليل التي توصلنا إليها هي دراسة حياة البطل بكل تفاصيلها، والبعد النفسي الذي خلفه، وفاة الأم ووباء الكوليرا على نفسية القط، فلم يجد سوى الانتحار كسبيل للخلاص، إضافة إلى مدى هامشية الشخصية البطلة و التي درسنا فيها مظاهر الهامشية من خلال مكونين سرديين هما الشخصية الهامشية و التي هي شخصية بطل الرواية، و المكان الهامشي أي المكان المقرون بالوباء، ومختلف أبعادها كالتهميش الاجتماعي بحكم علاقته وحياته الأسرية، كما أبرزنا مظاهر التهميش السياسي التي عان منها الكثير من خلال خوضه لثورة مع السلطات، ثورة شعارها الظلم، والقمع والتعذيب.

الخاتمة

الخاتمة:

صفوة القول أن للرواية مواضيع متنوعة تختلف باختلاف أحداثها، حيث نشأت لتعبر عن آلام الشعوب وأصوات كثيرة من الأدباء، أما رواية الحي السفلي، إنما جاء هدفها لمعالجة قضايا الإنسان والمجتمع خاصة، فتميزها وتألقها جعلنا نعشق متابعة أحداث مستقبلها قبل حاضرها، ويعتبر عبد الوهاب بن منصور أحد رواد الجزائريين إذ تمثل رواية الحي السفلي رابع أعماله بعد رواية فصوص التي هو ضيافة إبليس وقضاة الشرف، فهذه الموسوعة الأدبية جعلت منه يخلق في سماء التألق والتميز.

فالمتمعن إذن في عمله الرابع هذا يدرك أنه قدم لمسة خاصة ومغايرة عن سابقتها، حيث انتقل إلى مستوى آخر حمل في طياته مواضع متنوعة كلها خيرة عن الواقع مرير ومظلوم، يتمثل في (الظلم والقهر – الهامشية – الانتحار ... الخ).

ومن بين النتائج المتوصل إليها:

لقد تطرقنا في محور دراستنا هذه إلى الوقوف على ثلاث محطات منها ما يخص الجانب النظري ومنها الجانب التطبيقي، حيث :

في الفصل الأول توصلنا إلى مختلف التعاريف التي قامت عليها الهامشية و المصطلحات التابعة لها (الأدب الهامشي، الهامش)، حيث وقفنا على أن الهامشية هي وضعية ناجمة عن اختيارات إرادية للفرد، رغبة منه في الهروب من التنميط و الواقع المرير المفروض عليه.

الأدب الهامشي: توصلنا إلى أنه عبارة عن أدب الرفض و المعارضة و ذلك في إطار فك و خرق المعايير الفنية و محاولة التحرر منها و مناقضة للإيديولوجيات السائدة.

التهميش: لحضنا بأنه كلام خارج عن المتن، يأتي لاستكمال الأفكار المطروحة في المتن و الاستدلالات عن طريق التوثيق و الإفادة من باب الأمانة العلمية.

انطلاقا من هنا نجد أن الهامش يقوم على مركز يهمله، حيث عرفنا أن المركز هو الشيء الثابت الذي لا يتحرك، كما وصفناه بمركز الدائرة.

و من هنا فقد اقترن مصطلح المركز لمجالات مختلفة منها:

الاجتماعية: و ذلك بحكم التقسيم الطبقي لفئات المجتمع.

الاقتصادية: ارتبط بدول المركز (الدول الصناعية).

السياسية:ارتبط في كونه المحرك الأساسي للدولة، فلا يمكن الاستغناء عنه.

الأدبية:وهنا وقفنا عند الآداب المهمشة، و لعل شعر الصعاليك واحد منها، إذ لا تعطي له أي أهمية مقارنة بالآداب الأخرى.

ومن خلال هذا المنطلق توصلنا إلى نوعية العلاقة التي تجمع كل من مصطلحي المركز و الهامش منها:

علاقة تعايش و تكامل و رصدناها في النقاط التالية:

المتن والحاشية(الجزم بأولوية المتن)، حيث يعتبر المتن هو الأصل و الحاشية هي الهامش.

الأدب الذكوري و النسوي:استدرجنا في هذه النقطة تبعية المرأة للرجل أو سلطة الرجل على المرأة.

أما في الفصل الثاني فقد توصلنا إلى دراسة تحليل بنية العنوان(هامشية الحي السفلي) مع الاستعانة بأحداث الرواية، حيث وصفنا فيه صورة حي فقير أو مكان مقرون بالوباء و الخواء و الموت، و مهدد من طرف السلطة بالدمار منتج مهمش من كل النواحي.

كما وقفنا عند نقطة مهمة عالجنا فيها أوجه الاختلاف بين المدينة و أهاليها الأصحاء و بين الحي و أهالي الفقراء في النقاط التالية:

المدينة:توفر إمكانيات العيش السليم، الحياة السعيدة...الخ

الحي:نقص إمكانيات الملائمة، الوباء، الفقر، الحجر...الخ

ومن خلال هذا فقد تطرقنا إلى تقديم شرح موجز للحي و السفلي، ثم قدمنا بعض الشواهد عن الحي السفلي منها:حي الصفيح، ساحة الأبطال، الحوش، المقبرة...الخ، وهذه الشواهد دعمنا بها لاستخراج دلالات الحي والتي هي:

الدلالة السياسية: تكمن في النظام السياسي و التعسفي الذي طبقتة أعوان المكتب الثاني على الحي، و

رغبة أهالي الحي في التحرر من سلطتهم.

الدلالة الاجتماعية: الانتحار، الفقر، البؤس...الخ

ثم سعينا إلى تقديم الدلالة المشتركة لكلمة الحي و السفلي و محورناها في الدلالة المكانية، كون أن العنوان

يوحي إلى سيميائية المكان.

ولخصنا الوظائف التي قام عليها العنوان (هامشية الحي السفلي) في النقاط التالية:

الوظيفة الوصفية: عينا فيها بوصف الحي السفلي انطلاقا من الأزقة، البيوت الموسومة بعلامة (x)... الخ

الوظيفة الإغرائية: لخصنا في أن مهمتها مثل الوظيفة الوصفية أو الإيحائية.

الوظيفة التعيينية: مهمتها تسمية العمل الروائي.

واستنادا على هذا التحليل الموجز للعنوان جزمنا على علاقة تكامل و انسجام التي تجمع عنوان الرواية (هامشية الحي السفلي) و المتن الذي عني بالهامشية نظر إلى مختلف مظاهر التهميش التي صادفناها في أحداث الرواية (هامشية الحي، هامشية الشخصية).

أما الفصل الثالث فقد تمحور حول الشخصية الهامشية (الشخصية الرئيسية و هي أحمد القط) وكذا الشخصيات الثانوية منها: شخصية الجدة، الروخو الفسيان... الخ، و تحدثنا أيضا عن المكان الهامشي وحددنا فيه علاقة الشخصية بالمكان، بالمقبرة... الخ

واستنادا على هذا سلطنا الضوء على الشخصية البطلة مرفقين ذلك تذكير تفاصيل حياتها: موت للوالدة، مرضه، ثورته مع أعوان المكتب الثاني، معاناته و غرابة صحبته للقط، علاقته مع الممرضة، قصة حبه مع جميلة وخيانتها لها، يومياته الدراسية في الثانوية، علاقته مع أصدقائه.

ولم نكتفي بهذا فقط بل استخلصنا مظاهر التهميش التي صادفها أحمد القط، و عالجهما في عنصرين:

التهميش الاجتماعي: و هنا برزنا بوضوح فيما يكمن هذا التهميش، ويكمن ذلك بحكم حياته الأسرية (الفقر، البؤس و علاقة الشخصية بالمجتمع).

التهميش السياسي: ثورته مع السلطات، القمع، الاستبداد، التعذيب بشتى الجوانب.

و منه فإن لرواية الحي السفلي مكانة مرموقة في الساحة الأدبية وذات أهمية كبيرة، بحكم أنها اطلعتنا على اكتشاف واقع المجتمعات الهشة أمثال الحي السفلي، كما رصد لنا مختلف مظاهر التهميش التي يصادفها الإنسان في ظل حكم استبدادي تعسفي، حيث نجد أن معالجة قضايا الإنسان والمجتمع من المواضيع التي يجب أن تأخذ حيزاً كبيراً لدى الأدباء، كونها تحرك ملامح الإنسانية والنبالة في نفوس القراء.

و في الختام نحمد الله العلي القدير الذي وفقنا لتنتمه هذا العمل المتواضع، والذي نأمل أنه تعرض إلى أهم جوانب هذه الدراسة تقيماً وتقويماً وتحليلاً، حيث لم ندخر جهداً في الإحاطة بأهم النقاط المنوط بنا المرور عليها، ونرجو أن لا يؤخذ أي زلل فيه أو خلل موضع أو تقصير وتهاون في هذا العمل، فمن الوارد أن يشوبه نقص أو إبهام، كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نوجه أسمى عبارات الشكر وجزيل الامتنان للأستاذة المشرفة "سامية إدريس" التي رافقتنا في كل محطات هذا العمل، فقد كانت معنا مثلاً للكد والجد، لظالما كانت حافزاً لنا أمام كل عقبة صادفتنا. كثيراً ما ساهم في تذليل الصعاب، فلكي منا التحية و الت شكرات.

ملخص الرواية:

تدور أحداث رواية الحي السفلي "لعبد الوهاب بن منصور"، في أحد أحياء الصفيح، بعد عشرين سنة من استقلال الجزائر، إذ تتمحور الرواية حول شاب يدعى عبد الرحمان الملقب بأحمد القط، فقد سمي بالقط بسبب ولعه للقطط.

إذ كانت حياة البطل كلها حزن ويأس، مما أدى إلى تدهور حالته النفسية وذلك بسبب وفاة أمه إثر وباء الكوليرا وبسبب هذا المرض المنتشر في أرجاء الحي السفلي، فقد ظن نفسه مصاباً بالوباء، فنقل إلى المستشفى ليعالج هناك، لكن هرب وعاد إلى الحي الذي يسكنه مع جدته وأبيه و أخوه الصغير بعد وفاة أمه، فظلت جدته السند الوحيد في حياته التعيسة بعد وفاة والدته، واعتنت فيه حتى شفي من مرضه النفسي، إذ مرت على أحمد عدة صعوبات منها محاولته للانتحار والتي باءت بالفشل، و انتقل إلى المستشفى مرة ثانية بسبب محاولته الانتحار، فهذه الأخيرة تحولت إلى وسيلة ذات رموز سياسية يحكمها النظام، فهناك تعرض أحمد القط للمساءلة و التعذيب بأبشع الطرق وذلك لاختياره يوم يصادف عيد الاستقلال، و قضى أشهر في الزنزانة بسبب معارضته للنظام الذي يترأسه الروخو فسيان، ولم يكتف بمطاردته وطرح العديد من الأسئلة التي كان فيها غارقاً وحائراً وهو يبحث في داخله عن إجابات ممكنة، وهذه الأسئلة جعلته يتألم كثيراً وذلك بسبب اختياره الذكرى العشرين لعيد الاستقلال، فاعتبر أحمد القط أنه اليوم الذي يتحرر فيه نفسه من تلك الحياة البائسة التي يعيشها ويمنع له الإحساس بأنه فرد حر ومستقل.

لكن في الأخير فقد رفض أحمد القط أن يغادر الحي السفلي، وظل يناضل من أجل الذين حاولوا إنهاء الحي ووضع مكانه منتج سياحي.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

قائمة المصادر العربية:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف.
- 2- الفيروز آبادي، قاموس المحيط، ط 8، بيروت - لبنان، للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.
- 3- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية العاصرة، ط 1، دار العلاء للكتب، القاهرة، 2008.
- 4- أنطوان نعيمة وآخرون، المنجد الوسيط في اللغة العربية والمعاصرة، دار المتون، بيروت - لبنان، ط 1، 2003.
- 5- جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، ط 7، دار العلم للملايين، 1992.
- 6- جميل صليبا، المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- 7- عبد الوهاب بن منصور، رواية الحي السفلي، ط 1، الوسام العربي، بيروت (الجزائر)، 2016.

قائمة المراجع العربية:

- 1- جمال جناح، موضوعية التهميش: قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، 2011.
- 2- طوني بينيت لورانس غرو يسرع مغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافية والمجتمع، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010.
- 3- محسن عوض، قضايا التهميش والوصول إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية: نحو مقاربات جديدة لمكافحة التهميش في العالم العربي، القاهرة، 2012.

مجالات ورسائل:

مجالات:

- 1- حسن بحراوي، أدب محمد شكري: من الهامشية إلى المركزية، مجلة علامات المكناس، المغرب، العدد 18، 2002.
- 2- سعيدة خلوفي، انطولوجيا الدب الهامش بين النقد والوظيفة: رواية الخيال العلمي أنموذجًا، مجلة الأثر، العدد 24، 2016.
- 3- نور الدين باكرية، الشعر المغاربي المعاصر عن مركزية سلامة اللغة، إلى تفويض قواعد اللغة عبر اللغة الشعبية، مجلة مداد الآداب، عدد خاص بالمؤتمرات، الجزائر، جامعة الجزائر 2، 1989.

رسائل:

- 1- الباح دليلة، المركز والهامش في أدب عيسى لحليح، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، بسكرة، 2016.
- 2- براهيمى هجيرة، صورة المجتمع في رواية الحي السفلي لعبد الوهاب بن منصور، رسالة ماجيستر، جامعة قاصدي مرياح، 2016.
- 3- جيجخ صورية، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، بسكرة، 2016.
- 4- دحوي أحلام، الهامش في الرواية العربية الجزائرية، تلمسان، 2018.
- 5- مسكين حسنية، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة وهران – السانبا، 2014.

مواقع من الانترنت:

- 1- المعاني الجامع، www.almaany.com.
- 2- إيهاب مصطفى، سيميائية العنوان في "صك العنوان"، تاريخ المشاهدة 2020/08/01،
www.thaqafat.com
- 3- سعيد شمال، تجليات الهامش في سينما الجيلالي فرحاتي، مجلة نزوى،
[http :www.nazwa.com](http://www.nazwa.com)
- 4- سلمى بلحاج مبروك، الأثر الهامشي، www.maaber-org/issue-my14/spotting.hpm
- 5- كريمة بوكروش، أدب الهوامش، elearning.univ-djelfa.dz.
- 6- منى بونعامة، المركز والهامش، جريدة الخليج، www.alkhaleej-ae/mob/detailed.
- 7- هيثم حسين، أدب الهوامش، <https://.alarab.com>.
- 8- www-pdf.factory.com
- 9- <http://www.almaany.com>

الملاحق:

ولد عبد الوهاب بن منصور في غرب الجزائر في مدينة "ندرومة" سنة 1964، قرب من تلمسان على الحدود الجزائرية المغربية، ورغم أنه بعيد كل البعد عن مركز العاصمة، فإنه حقق بكتابه نجاحات عديدة كرّست اسمه في الحركة الأدبية الجزائرية الجديدة، ومن بين أعماله الروائية نجد "رواية الحي السفلي" التي صدرت سنة 2016.

التعريف برواية الحي السفلي:

هي رواية تغوص في حقبة زمنية مليئة بالأحداث التي سترسم فيها بعد مستقبل الجزائر، وتميزت بأنها رواية صوفية من حيث لغتها الجزائرية وهي رواية عن القهر الذي يعيشه سكان الحي، كما أنها تعبر عن الهامش بكل تفاصيله عن الطبقة و عبثية الاستقلال و الثورة...الخ، إذ نجد أن هذه الرواية هي رابع إصدار لعبد الوهاب بن منصور بعد أعماله في ضيافة إبليس 1994، وقضاة الشرق 2001 وفصوص التيه 2006.

الفهرس

الفهرس

الشكر والعرفان

الإهداء

الإهداء

1..... مقدمة

5..... تمهيد

الفصل الأول: الهامشية و تهيمش الهامش :إضاءة مفاهيمية

6..... أولا: تعريف الهامشية/الهامش:

8..... تعريف ومعنى الهامشية في معجم المعاني الجامع معجم العربي عربي:

8..... التعريف الاصطلاحي:

14..... ثانيا: مفهوم المركز:

14..... التعريف اللغوي:

15..... التعريف الاصطلاحي:

15..... أ-اجتماعيا:

16..... ب- سياسيا:

16..... ج- أدبيا:

17..... ثالثا: العلاقة بين المركز والهامش:

17..... أ- علاقة صراع وتصادم:

17..... ب- علاقة تعايش وتكامل:

17..... ■ المتن والحاشية:

17..... ■ الأدب الذكوري والأدب النسوي:

19..... رابعا: مفهوم أدب الهامش:

21..... خامسا:تمثلات أدب الهامش:

21..... أ- الأدب الشعبي:

ب- أدب الطفل:..... 21

ج) الرواية البوليسية:..... 22

خاتمة..... 23

تمهيد..... 25

الفصل الثاني: الفضاء المكاني وثنائية المركز و الهامش

أولاً: دراسة العنوان كبنية مستقلة:..... 26

1 أ - تعريف ومعنى السفلي في معجم المعاني – معجم عربي عربي: 26

في معجم الوسيط:..... 26

وأما في معجم اللغة العربية المعاصرة:..... 26

كما نجد أيضا في معجم عربي عامة لفظة "سُفْلُ" على النحو التالي:..... 27

1 ب - معنى الحي في المعاجم اللغوية:..... 27

تعريف ومعنى الحي في قاموس معجم المحيط:..... 28

الحي (معجم قاموس المحيط):..... 28

"الحي (معجم عربي عربي عامة)..... 28

2- الشواهد التي تدعم دلالات الحي السفلي:..... 28

فقد ورد الحي السفلي في هذه الرواية في معاني متعددة وهي التي تمثل شواهد تحيل إلى الفضاء المكاني،ومن

بين هذه الشواهد نجد:..... 29

أ- حي الصفيح:..... 29

ب- ساحة الأبطال:..... 29

ج- الحوش:..... 29

د- الضريح:..... 30

ه- المقبرة:..... 30

3- دلالات الحي السفلي:..... 31

أ- دلالة سياسية:..... 31

- ب- دلالة اجتماعية: 32
- الدلالة المشتركة: 32
- 4- وظائف العنوان: 33
- أ- : الوظيفة التعيينية: 33
- ب- : الوظيفة الإيحائية: 34
- ج- الوظيفة الوصفية: 34
- د- الوظيفة الإغرائية: 35
- 5- دراسة علاقة العنوان بالمتن (مضمون الرواية): 36
- ثانيا: تقطبات المدينة والحي السفلي 37
- خاتمة: 39
- تمهيد: 41
- الفصل الثالث:البطل/الشخصية الهامشية
- أولا :تحليل حياة البطل: 42
- ثانيا:هامشية الشخصية 45
- 1-الشخصية الهامشية: 45
- أ-شخصية حزينة وبائسة : 45
- ب- شخصية حالمة: 45
- ج- شخصية ينتابها نوع من الوحدة والعزلة ويظهر ذلك في قوله: 46
- د- شخصية تلفت كل أنواع التعذيب والمعاناة بشتى الوسائل من طرف أعوان المكتب الثاني ويظهر ذلك في: 46
- هـ- شخصية متقمصة في هيئة حيوان (القط): 46
- و- شخصية متمردة وزانية: 46
- أ) شخصية الجدة: 47
- ب) شخصية الرخو الفسيان: 47

47(ج)الشخصيات المجهولة:
472- المكان الهامشي:
49أ) علاقة الشخصية بالمكان:
49(ب)علاقته بالمقبرة:
49(ج)علاقته بالزنزارة :
49(د)علاقته بالمستشفى:
503-مظاهر التهميش الاجتماعي :
52 مفهوم التهميش السياسي :
524-مظاهر التهميش السياسي :
54 خاتمة
56الخاتمة:
60 ملخص الرواية:
62المصادر والمراجع:
61 قائمة المصادر العربية:
62 قائمة المراجع العربية:
62مجالات ورسائل:
62مجالات:
63رسائل:
64مواقع من الانترنت:
65الملاحق:

ملخص

تعد رواية الحي السفلي من اهم الفنون الأدبية التي تناولت موضوع الهامشية، و هذه الأخيرة تمثل الدائرة الأساسية التي دفعتنا لدراسة هذا النوع من الأدب، فهي جسدت لنا الواقع الذي يعيشه سكان الحي من وباء وموت وخواء، إذ تناولنا فيها مختلف المفاهيم المتمثلة في : الهمش، المركز، الهامشية، التهميش ... إلخ، وطبقناها على نص الرواية، ولمعالجة هذه الإشكالية قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول و خاتمة، فقد تضمن الفصل الأول: مفهوم الهمش و المركز والعلاقة الموجودة بينهما وكذا تمثلات أدب الهمش، أما الفصل الثاني تناولنا فيه دراسة العنوان، كبنية مستقلة وكذا دراسة علاقة عنوان الرواية بالمتن، أما الفصل الأخير تضمن دراسة حياة البطل وكذا ابراز هامشية الشخصية.

الكلمات المفتاحية:

الهامش - المركز - الهامشية - التهميش ... إلخ.